من ذخائر السيرة النبوية

(٢)

ابتسامات نبوية

متابعة شاملة لمرويات «التبسم» في السيرة النبوية

وما يستفيد المسلمون منها في حياتهم

عبد الله نجيب سالم

الباحث العلمي بالموسوعة الفقهية - الكويت

عن أم الدرداء قالت :

كان أبو الدرداء رضي الله عنه لا يحدث بحديث إلا تبسم فيه .

فقلت له : إني أخشى أن يحمقك الناس ! فقال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدث بحديث إلا تبسم).

أورده الإمام أحمد في مسنده

رمضان ١٤٢٤هـ
الموافق ٢٠٠٣م
للمراسلة : الكويت ص.ب ١٨٠٨٤ - الفروانية
جوال : ٩٥٩١٣٣٦ - ٢٤٨٧٤٣٠هـ/ ف
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الابتسامات النبوية

الحمد لله رب العالمين ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء ربنا بعد ، الحمد لله أحق من حمد ، والحمد لله أحق من عبد ، والحمد لله المستحق للحمد وحده ، والحمد لله بجميع محامده ما علمنا منها وما لم نعلم ، عدد خلقه كلهم ما علمنا منهم وما لم نعلم ، بجميع الألسن ما علمنا منها وما لم نعلم ، على جميع النعم ما علمنا منها وما لم نعلم . . . اللهم أنت أهل الحمد والثناء ، وأنت أهل التقوى والمغفرة ، فتقبل منا صالح ما عملنا وما علّمنا ، واغفر لنا ذنوبنا وسيآتنا مما نعلم أو مما لم نعلم ، لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وصلاة ربي وسلامه ، وعطاياه وإكرامه ، ومنحه وإنعامه ، على المبعوث رحمة وهدى وبشرى للعالمين ، سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين ، ونبراس المؤمنين ، وخاتم النبيين والمرسلين ، محمد بن عبد الله ، العربي القرشي العدناني ، فخر الإنسانية ودرتها اليتيمة ، وحجة الله على خلقه ، وهادي البشرية إلى ربها ، مَنْ جعله الله للمؤمنين أماناً ، وعلى المعاندين حجة وبرهاناً ، وللباحثين عن الحق نبراساً وعنواناً . . . فجلّى الحقائق

الكونية ، ورفع لواء الحنيفية ، ودعا إلى التوحيد ، وأثبت التنزيه لله والتمجيد ، اللهم آته الوسيلة والفضيلة ، والدرجة العالية الرفيعة ، وابعثه مقاماً محموداً يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . آمين يا رب العالمين .

أما بعد :

فليس في الكون كله ـ لا قديماً ولا حديثاً ـ من لم تبق شاردة أو واردة من حياته ، أو صغيرة أو كبيرة من أحواله وصفاته إلا تناولها الباحثون بالفحص والتنقيب والبحث والمعالجة سوى رسول الله (محمد بن عبد الله) صلى الله عليه وسلم .

فهو الإنسان الوحيد الذي تتبع الناس جميعاً دقائق حياته ، وتفصيلات سيرته ، من المهد إلى اللحد ، فجمعوها جمعاً مفصلاً شاملاً بأدق طرق الجمع وأوسعها ، ثم عكفوا عليها بالنظم والنثر ، شرحاً وتوضيحاً ، وحفظاً وقراءة ، وفهماً واستنباطاً ، ومقارنة ومفاضلة . حتى غدت حياته جلية جلاء لا خفاء معه ، وواضحة وضوحاً لا غموض فيه .

لقد عرفنا نسبه وأصله ، وبلده وقبيلته ، وبيئته التي نشأ وولد فيها ، وتاريخ أمته وجغرافية موطنه ، ثم عرفنا زواج أبويه وولادته بعد وفاة أبيه عبد الله ، ثم عرفنا رضاعه ويتمه ، وطفولته ويفاعته ،

وعرفنا تعهد جده له منذ ولادته ، ثم قيام عمه أبي طالب بذلك بعد موت عبد المطلب ، ثم شبابه ونشاطه ، ثم زواجه واستقراره ، ثم اختلاءه ونبوته ، ثم دعوته إلى الله الناس سراً ، ثم جهره وإعلانه ، ثم تعرضه للأذى وأصحابه ، ثم جداله مع قومه ومعانديه ، ثم تتابع نزول القرآن عليه ، ثم هجرته وخروجه إلى المدينة المنورة ، ثم صده لغزو قريش وهجماتها ، ثم تنظيمه لأمة المسلمين وتقويتها ، ثم انتصاره على أعدائه وفتحه لمكة ، ثم استسلام الجزيرة العربية كاملة له ، ثم مخاطبته لملوك الأرض قاطبة مخاطبة الند للند وصدامه مع بعضهم ، ثم وداعه للدنيا ورحيله عنها . . . كل ذلك عرفناه عناوين في سيرته : تحت كل منها تفصيلات دقيقة وأخبار مفصلة وحوادث لا حصر لها . . . وكلها بلا استثناء مكتوب محفوظ ، ومشروح موضح ومترابط متناسق .

نعم . لقد تفرد المسلمون من بين أمم الأرض بعلم خاص يدور حول شخصية رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو علم السيرة النبوية . . ولهذا العلم قواعد وضوابط ، وكتب ومؤلفات ، ورجال ومتخصصون ، ودراسات وأبحاث ، هي في مجملها جزء من علم التاريخ الإسلامي الأشمل والأوسع . إلا أن السيرة النبوية هي تاريخ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

والمنطقة التي عاش فيها والحوادث التي جرت خلال حياته وكثير من قصص وأخبار أعدائه وخصومه .

علم السيرة النبوية علمٌ معروض بصور شتى وترتيب متعدد . . . تارة تراه مسروداً بحسب تسلسل تواريخ السنين ، وتارة تجده منسقاً بحسب أخبار الرجال والأشخاص ، وأخرى تبصره مرتباً بحسب الأماكن والبقاع والبلدان ، ومنه ما هو متعلق بتنزل القرآن والأحكام وتسلسل التشريع ، وبعضه يسرد الحوادث الجهادية والغزوات العسكرية فقط ، وكثير منه يتحدث عن الشمائل المحمدية والمزايا المصطفوية . ولن تتصور وجهاً من الوجوه الممكنة لكتابة علم أو سرد قضية : شعراً أو نثراً ، أو إيجازاً باختصار أو شرحاً بتوسع إلا وتجد لذلك التصور مثيلاً وأنموذجاً فيما كتبه الكاتبون في مضمار السيرة النبوية ومضمونها .

وصدق من قال : إنه لم تسلط الأضواء على شخصية بشرية تحت الشمس في التاريخ كله كما سلطت على شخصية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ومن حوله .

إنني أرى السيرة النبوية بالنسبة للمسلمين معيناً لا ينضب ومصدراً لا حد له لكل باحث وكاتب ، وقارىء ومستمع ، وقديم وحديث . فالسيرة النبوية بحر لا ساحل له ولا قرار ولكل داخل

فيه نصيب بحسب اجتهاده . . . ومن أشق الأمور وأصعبها الاحاطة التامة به . . . ومن أحب الأمور وأشوقها الكتابة والحديث فيه . . . ومن أوسع الأمور وأرحبها اطلاق العنان فيه للقلم والفكر واللسان ! !

إلا أن علم الشمائل المحمدية ـ وهو العلم المتعلق بأوصاف النبي صلى الله عليه وسلم الخَلْقية والخُلُقية ـ يبقى الأقرب إلى النفس المسلمة ، المفعمة بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المتعلقة بشخصه الكريم ، الحريصة على تمثل صورته في الذهن والاقتداء به في الواقع والربط بينه وبين القرآن الكريم كتاب الله الخالد .

إن الشمائل المحمدية علم من علوم السيرة النبوية رحب الميدان واسع الأفق عظيم الفائدة . . . فيه يماط اللثام عن خَلقْ وشكل وصورة جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفاصيل دقيقة عجيبة ، حتى لكأنك تنظر إليه رأي العين أو تعيش إلى جواره وجنبه .

كما يماط فيه اللثام عن أخلاقه وسجاياه صلى الله عليه وسلم وطبائعه ومزاياه بتفاصيل لا تغادر شاردة أو واردة إلا أحصتها . . . فمن الحديث عن صدقه وأمانته إلى الحديث عن شجاعته وكرمه ،

ثم عن رحمته ورقته ، ثم عن حلمه وصفحه . . . إلى غير ذلك . . . مع الاستفاضة في وصف سلوكه اليومي كطعامه وشرابه ونومه وقيامه وحديثه وخطبه ، وضحكه وتبسمه ، وغضبه وسخطه وصحته ومرضه . . .

إنها كلها مواضيع تشكل أبحاثاً واسعة تفرد بها المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا في ذلك مبرزين وسباقين ، ليس من اليوم أو الأمس ، بل منذ القديم القديم ، ليترجم ذلك لنا مدى حب المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ذلك الحب العميق الفريد من نوعه الذي لم تعرف له البشرية من قبل مثيلاً . . فكان التابعون - وهم مَنْ بعد الصحابة الذين رأوا وصاحبوا وخالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - بل وصغار الصحابة سناً ، يكثرون من السؤال عن شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله وصفاته وأخلاقه إما إرواء منهم لغَلّة المحب الصادي الراغب في تصور محبوبه وسماع أخباره ، أو سعياً نحو فهم آية وشرح سورة مما أنزل عليه ، أو اعتزازاً به وبالانتساب إليه واتباعه ، أو مقارنة لشمائله وأخلاقه مع صفات زعماء العالم وكبار رجالات الدنيا . . . حتى اجتمع من ذلك الشيء الكثير جداً . . . فأدى إلى ولادة علم الشمائل المحمدية مبكراً قبل غيره من العلوم الشرعية أو العربية الأخرى .

وقد حفظ لنا التاريخ أن أول من ألف وأفرد كتاباً خاصاً في الشمائل المحمدية ـ على حد علمنا ـ إنما هو أبو عيسى الترمذي المتوفى عام (٢٧٩)هـ . - رحمه الله رحمة واسعة - صاحب السنن ، ثم تتابع العلماء في ذلك يسطرون كتباً مستقلة أو فصولاً خاصة في كتب الحديث أو السيرة أو التاريخ . . . تدفعهم إلى هذا دوافع عديدة شتى لا يجمعها جميعاً إلا الحب المتأجج في النفوس المتقد في الجوانح الذي يربط بين كل مسلم ومحمد صلى الله عليه وسلم . . . فلا يهنأ له بال ولا يستقر به حال ، ولا تصفو له حياة ، ولا تمر به عشية أو غداة إلا وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم نصب عينيه ، والصلاة والسلام عليه زاده وغذاه ، بها يملأ أوقاته ويشغل خلواته وجلواته .

والالتفات إلى علم الشمائل المحمدية في هذا العصر أصبح ضرورة ماسة وحاجة هامة بعد أن امتلأت حياة الناس بالمحاولات الدؤوبة المستمرة من قبل شتى وسائل الإعلام المقروءة أو المسموعة أو المرئية في رسم صورة البطل أو الرجل «السوبر» أو الإنسان المتفوق الناجح في أذهان الشباب والشابات مرتبطاً بمقاييس غربية مادية تمجد القوة العضلية للإنسان ، أو تسلط الأضواء على مفاتن الجسد وزوايا الإغراء والإغواء ، أو تثير في الإنسان كوامن العنف

وشهوات الانتقام ، أو تحرك في جوانحه عبادة المال واتخاذه محور الحياة والسلوك . . . وهي في غمرة هذه المحاولات تهدم وتهز بعنف في نفوس شباب المسلمين وشاباتهم قواعد السلوك الشرعي والانضباط الأخلاقي والالتزام التعبدي ، وتبتعد بهم عن النماذج والصور المثالية للاقتداء والاتباع . . . وهنا يحدث الفصام وتقع الكارثة . . . رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ومن بعده كل من سار على نهجه ـ مثال الرحمة والعفو والحلم ، والهدوء والابتسام ، والتعبد والالتزام ، يصل من قطعه ، ويعطي من منعه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه ، ويزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة ويأمر بغض البصر وستر المفاتن والتحكم في الشهوات . . . على العكس تماماً من صور البطولات الزائفة الزائفة ، الضالة المضلة . . . بطولات الكاوبوي ، والسوبر مان ، والرجل الغربي المادي الجبار .

أليس المسلمون مطالبون بالتركيز على الصورة الصحيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإعادة رسمها أمام النواظر ، وإحياء الحب الكامن تجاهه صلى الله عليه وسلم ؟؟

أليس المسلمون ينشدون دائماً مخاطبين رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وأجـــملَ منك لم ترقط عين

وأكـــملَ منك لم تلد النســـاءُ

خلقت مـــبـــرءاً من كل عـــيب

كـأنك قـد خلقت كـمـا تشـاء

وأنـت لـنـا عـلى خـلـق عـظـيـم

ونحن على العـمـوم لك الفـداء

من أجل ذلك تبدو الحاجة ماسّةً إلى إحياء علم الشمائل المحمدية بجميع جوانبه وجزئياته .

وما عملي هذا إلا جهد المقل في طريق طويل وبحر واسع .

اللهم صل صلاة كاملة . وسلم سلاماً تاماً على سيدنا محمد ، الذي تنحل به العقد ، وتنفرج به الكرب ، وتقضى به الحوائج ، وتنال به الرغائب وحسن الخواتيم ، ويستسقى الغمام بوجه الكريم ، وعلى آله وصحبه عدد ما هو معلوم لك .

عبدالله نجيب سالم

ملحوظة مهمة :

حرصت حرصاً شديداً أن أنسب كل رواية أو حديث أو قول أوردته في الكتاب إلى المصدر الذي أخذت منه ، والمصادر التي رجعت إليها كثيرة جداً يطول سردها مجتمعة .

ولم أعمد إلى تخريج تلك المرويات والإشارة إلى صحتها أو درجتها ، للأسباب التالية :

١ - أن من أنسب القول إلى راويه فقد برئ .

٢ - أن موضوع «التبسم» مما يتساهل في الرواية فيه .

٣ - أن منهج كثير من أئمة الحديث والسيرة والتاريخ والفقه عندما يتناولون موضوعاً ما إيراد جميع ما جاء في الباب ، ما لم يكن مقصودهم الاقتصار على الصحيح فقط .

والله ولي التوفيق ، ، ، ،

عبدالله نجيب سالم

حول الابتسامة والتبسم

قال الرازي في مختار الصحاح : التبسم دون الضحك ، وقد بَسَم من باب ضرب فهو باسم ، وابتسم وتبسم ، والمَبْسم بوزن المَجْلس : الثغر . ورجل مبسام وبسام كثير التبسم . . . وقال ابن منظور في لسان العرب : بَسَم يبسم بسماً وابتسم : تبسم وهو أقل الضحك وأحسنه . وفي التنزيل : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[1] .

قال الزجاج : التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقال الليث : بَسَم يبسم بسماً إذا فتح شفتيه كالمكاشر ، وامرأة بسامة ورجل بسام .

وافتر فلان ضاحكاً أي أبدى أسنانه ، وافتر عن ثغره إذا كشَر ضاحكاً . ومنه الحديث الذي رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل في صفة النبي صلى الله عليه وسلم (ويفتر عن مثل حب الغمام) أي يكْشُر إذا تبسم من غير قهقهة . وأراد بحب الغمام البَرَد . شبَّه بياضَ أسنانه به .

ولما أورد ابن القيم في (زاد المعاد) قول السيدة عائشة رضي الله عنها الذي رواه الترمذي في سننه في وصفه صلى الله عليه

(١) سورة النمل/ ١٩ .

وسلم . وهذا القول هو : (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بيّن فصل ، يحفظه من جلس إليه ، وكان كثيرا ما يعيد الكلام ثلاثاً ليعقل عنه ، إلى أن قالت : ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً ، وكان جل ضحكه التبسم بل كله التبسم . فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه . وكان يضحك مما يضحك منه ، وهو مما يتعجب من مثله ويستغرب وقوعه .) لما أورده ابن القيم علق على ذلك بقوله :

وللضحك أسباب عديدة هذا أحدها (وهو التعجب) ،

والثاني : ضحك الفرح وهو أن يرى ما يسره أو يباشره .

والثالث : ضحك الغضب وهو كثيراً ما يعتري الغضبان إذا اشتد غضبه ، وسببه تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضب وشعور نفسه بالقدرة على خصمه وأنه في قبضته ، وقد يكون ضحكه لملكه نفسه عند الغضب وإعراضه عمن أغضبه وعدم اكتراثه به .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بساماً

يرتبط التدين في أذهان كثير من الناس بالعبوس والتقطيب والتجهم والعصبية . . . حتى ليخيل إلى البعض أن هناك أوامر دينيةً بذلك ، أو أن الدين نفسه يميل إلى هذا الجانب ، ويربي أتباعه عليه ، ويحبب لهم أسلوبه .

وكم رأينا من شباب يافعين كانوا يعيشون مع أسرهم وفي مجتمعاتهم عيشة عادية ، ولم يكونوا ملتزمين بالدين التزاماً صحيحاً أو كاملاً . وكانوا - كباقي الشباب - يغلب عليهم المرح أو الحبور ، فلما تعرفوا إلى الدين ، وتمسكوا به ، وتحمسوا له ، والتحقوا بجماعة من الجماعات المنتسبة إليه وأصبحوا متدينين ، فقدوا في غمرة هذا التحول البسمة والبشاشة والفرح والحبور ، واشتكى أهلوهم من ذلك مُرّ الشكوى . . . إن أهالي هؤلاء الشباب لا يريدون من أبنائهم أن يتركوا الدين ، أو أن يعودوا إلى ما كانوا عليه من الجاهلية . لكنهم يريدون منهم فقط أن لا يفقدوا صورة الإنسان البشوش البسام .

وها نحن أولاء نحاول التقصي والاستيعاب بإذن الله في صفة ابتسامة النبي صلى الله عليه وسلم عموماً ، ودوام تلك الابتسامة واستمرارها بأجمل صورة وأكرم حال ، لنرى حقيقة

التدين الصحيح في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوامره وأفعاله .

وقد بين السهيلي في (الروض الأنف) أن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشرقاً بساماً ، فإذا غضب تلون ألواناً . تلك الألوان حائلة دون الإشراق والطلاقة والضياء المنتشر عند تبسمه .

وقال في (السيرة الحلبية) عنه صلى الله عليه وسلم (جل) أي معظم (ضحكه التبسم) وكون معظم ضحكه ذلك لا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم ضحك غير ما مرة حتى بدت نواجذه ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا جرى به الضحك وضع يده على فيه .

وعلق ابن منظور على حديث عائشة عند البخاري وغيره في صفته صلى الله عليه وسلم : «تبرق أساريرُ وجهه» فقال : أي تلمع وتستنير كالبرق . وقال أبو عمرو : الأسارير هي الخطوط التي في الجبهة من التكسر فيها . واحدها سَرَر . قال شَمِر : سمعت ابن الأعرابي يقول في قوله : تبرق أسارير وجهه ، قال : خطوط وجهه . سرٌ أسرارٌ أسارير جمع الجمع ، وقال بعضهم : الأسارير الخدان والوجنتان ومحاسن الوجه وهي شآبيب الوجه وسُبُحَات

الوجه . وفي حديث علي رضي الله عنه الذي ذكره ابن الأثير في النهاية : «كأن ماء الذهب يجري في صفحة خده ، ورونق الجلال يطّرد في أسرّة جبينه» .

وأكدت السيدة عائشة رضي الله عنها في حديث يورده البخاري أن ضحكه كان تبسماً لا يصل به إلى حد القهقهة . قالت : «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يبتسم» .

وجاء في لسان العرب أن ابن شميل روى بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ما رؤي ضاحكاً مستشيطاً . قال : معناه ضاحكاً ضحكاً شديداً كالمتهالك في ضحكه ، وربما أضيف إلى وصف تبسمه صلى الله عليه وسلم : بَرَق إكليل وجهه . كما جاء في النهاية لابن الأثير في حديث عائشة رضي الله عنها : (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم تبرق أكاليل وجهه) ، والأكاليل جمع إكليل وهو شبه عصابة مزينة بالجواهر ، فجعلت رضي الله عنها لوجهه الكريم أكاليل على وجه الاستعارة . وقال بعضهم بل أرادت نواحي وجهه وما أحاط به إلى الجبين من التكلل وهو الإحاطة .

وكان تبسمه صلى الله عليه وسلم مروياً عنه منذ صغره

وحداثة سنه . . . ذكر السيوطي في (الخصائص) عند سرد حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو عند حليمة أن أخاه من الرضاع جاء إلى أبويه يصيح :

- يا أبت ويا أمه الحقا أخي محمداً فما تلحقانه إلا ميتاً ! .

قلنا : وما قصته ؟

قال : بينما نحن قيام إذ أتاه رجل فاختطفه من أوساطنا ، وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر إليه ، حتى شق من صدره إلى عانته ولا أدري ما فعل به ! فأقبلت أنا وأبوه نسعى سعياً ، فإذا نحن به قاعداً على ذروة الجبل شاخصاً ببصره إلى السماء يبتسم ويضحك ، فأكببت عليه وقبلت ما بين عينيه ، وقلت : فدتك نفسي ما الذي دهاك؟

قال : خيراً يا أماه . ثم أكمل الحديث .

وروى الترمذي من حديث عبد الله بن الحارث بن جزر رضي الله عنه قال : «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم» قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وفي رواية : «ما رأيت أحداً أكثر مزاحاً من رسول الله ولا أكثر تبسماً منه» .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حدث بحديث تبسم في حديثه» .

وأورد الإمام أحمد في مسنده عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت : كان أبو الدرداء رضي الله عنه لا يحدث بحديث إلا تبسم فيه . فقلت له : إني أخشى أن يحمقك الناس ! فقال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدث بحديث إلا تبسم» .

وروى البيهقي عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : بعث إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «يا جرير لأي شيء جئت؟ . قلت : أسلم على يديك يا رسول الله . قال فألقى علي كساءً ، ثم أقبل على أصحابه ، فقال :

إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . ثم قال : يا جرير أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأن تؤمن بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وتصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة . ففعلت ذلك فكان بعد ذلك لا يراني إلا تبسم في وجهي» .

وفي رواية عن جرير قال : ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي ، ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدري وقال : «اللهم

ثبته واجعله هادياً مهدياً» متفق عليه .

هذه الابتسامة النبوية الحلوة الدالة على طلاقة الوجه وبشاشته والتعامل مع الحياة بانفتاح وسرور أصبحت جزءاً لا يتجزأ من السلوك الحسن والأخلاق الإسلامية التي يدعى إليها كل فرد مسلم .

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» .

وعند الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك» .

وعنده أيضاً عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» يقول الترمذي : وفي الباب عن ابن مسعود وحذيفة وعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهم .

وروى أحمد في المسند عن أنس رضي الله عنه قال :

- كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير ، وكان النبي صلى الله

عليه وسلم يضاحكه ، قال فرآه حزيناً ، فقال : «يا أبا عمير ما فعل النغير» . وفي رواية عند أحمد عن أنس رضي الله عنه : أن ابناً لأم سليم صغيراً كان يقال له أبو عمير ، وكان له نغير ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليه ضاحكه . فرآه حزيناً فقال :

«ما بال أبي عمير؟

قالوا : يا رسول الله مات نغيره ، قال فجعل يقول :

- يا أبا عمير ما فعل النغير» .

وجاء في تعطير الانام في تفسير الاحلام للنابلسي : (التبسم) في المنام دال على السرور وإتباع السنة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضحك تبسماً .

إن الخلاصة التي يهمنا الوصول إليها هي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بساماً ، بل كان أكثر الناس تبسماً ، بل إنه جعل الابتسامة سنة طيبة وشريعة متبعة وكان يضاحك غيره ويضحك إليه ، وفي ذلك ما فيه من الدلالة الواضحة على خطأ من يتصور العبوس والتقطيب والتجهم جزءاً من الدين . . . وليس الأمر كذلك .

وما أحسن ما امتدح به الإمام الفذ البوصيري رسول الله صلى

الله عليه وسلم إذ يقول عنه :

سيدٌ ضِحكُه التبسمُ والمَشْـــيُ الهوينا ونَومُه إغفاءُ

وما أحسن ما نقل أحمد قَبَّش في مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ، عن زياد الأعجم قال :

أخ لك مـــا تراه الدهر إلا على العلات بسامـا جوادا
سألناه الجـزيل فـمـا تلكا وأعطى فـوق منيـتنا وزادا
فـأحسن ثم أحسن ثم عـدنا فـأحسن ثم عـدت له فـعـاد
مـــراراً لا أعـــود إليـــه إلا تبسم ضـاحكاً وثنى الوسادا

الملائكة والأنبياء والصالحون السابقون يبتسمون أيضاً

يحسن بنا ونحن ندير الحديث حول ابتسامات النبي صلى الله عليه وسلم أن نعرج على السابقين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من الملائكة وصالحي الأمم السالفة . لنجمع بعض الروايات المأثورة في تبسمهم بمناسبات شتى ، . . لقد كان هؤلاء بسامين بشوشين ، وجوههم سمحة ، ومحياهم مستبشر . . . ان الابتسامة سنة سابقة في الماضين من الأنبياء والصالحين .

ابتسامات الأنبياء والملائكة

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة في عمومهم ورد أنهم ضحكوا وتبسموا للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك في حادثة المعراج عندما كان بصحبة الروح الأمين جبريل عليه السلام . بل إنه عليه السلام قد استغرب أن لا يبتسم في وجهه أحد كبار الملائكة ومقدميهم .

قال صاحب السيرة الحلبية : وجاء - في الصحيح - أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل :

- «مالي لم آت لأهل السماء إلا رحبوا بي وضحكوا إليّ ، غير واحد سلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ودعا لي ، ولم

يضحك إلي؟ قال : ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ، ولو ضحك لأحد لضحك إليك» رواه البيهقي في الدلائل .

وهذا في الجملة يوضح الحال الجميل الذي استقبل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في السماء . . . ابتسامات ذات دلالات ومعاني . . .

وقد أشار الزجّاج رحمه الله أن إلى الأنبياء كانوا ـ وكما هو الحال بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لا يبالغون في الضحك إلى حد القهقهة . قال ابن منظور في لسان العرب : قال الزجاج : التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ابتسامات آدم عليه السلام

وهذا آدم أبو البشر وأول الأنبياء يبتسم ابتسامة الرضا والشكر إذا ما رأى الصالحين من أبنائه ، فهو يفرح بهم وبأعمالهم وبصلاحهم ويسر .

جاء في (مجمع الزوائد) للهيثمي في حديث الإسراء والمعراج عن أبيّ ابن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

فُرج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ، ثم

غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء ، فلما جاء السماء الدنيا استفتح فقال : من هذا؟ قال : جبريل ، قال : هل معك أحد؟ قال : نعم معي محمد . قال : أرْسِلَ إليه؟ قال : نعم فافتح . فلما علونا السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسْودة (أسودة جمع قلة لسواد . وهو الشخص . لأنه يُرى من بعيد أسود) وعن يساره أسودة . فإذا نظر قِبَل يمينه تبسم . وإذا نظر قبل يساره بكى . قال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ، قال : قلت لجبريل صلى الله عليه وسلم : من هذا؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله بنيه . فأهل اليمين هم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله هم أهل النار ! فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى . . .) قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

هكذا يضحك أبونا آدم عليه السلام . . . وهو الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته .

ابتسامة أيوب عليه السلام

وأورد الطبري في تفسير قوله تعالى خطاباً لأيوب حينما فرّج كربته ورد إليه نعمه التي امتحنه بسلبها ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا**

مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[١] قال :

(فركض برجله فانفجرت له عين ، فدخل فيها فاغتسل ، فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء ، ثم خرج فجلس ، وأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده ، فقامت كالوالهة متلددة ، ثم قالت لأيوب (ولم تعرفه لتغير حاله) يا عبدالله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا قال : لا . ثم تبسم . فعرفته بمضحكه فاعتنقته) .

وفي رواية فقال لها : (وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت : نعم ومالي لا أعرفه ! فتبسم ثم قال : ها أنا هو ، وقد فرج الله عني ما كنت فيه . فعند ذلك اعتنقته) .

إنه أيوب مضرب المثل في الصبر ، ولكنه في ساعة انكشاف البلاء وعودة النعمة ومجيء الفضل الإلهي والرحمة الربانية يداعب زوجته ويمازحها ، فيخفى لها ساعة ، ثم يبتسم في وجهها ابتسامة تعرفه بها وتعود إليه لهفى ! !

ابتسامة سليمان عليه السلام

وأعظم الأنبياء ملكاً وأوسعهم جنداً وسلطة سليمان عليه الصلاة والسلام قص الله سبحانه علينا صورة من صور تبسمه

(١) سورة ص ٢٤ .

الجميل . . . لقد كان نبياً جليلاً وملكاً مهيباً إلا أنه مع ذلك لم يفقد الابتسامة الحلوة ليس مع البشر ، بل حتى مع الحيوانات التي أعطاه الله منطقها ووضح له لغتها .

يروي القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) أنباء عجيبة عن نبي الله سليمان والنملة التي أمرت جماعة النمل بالهرب إلى الملاجىء تحت الأرض للاحتماء من جيش سليمان ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[1] .

يقول القرطبي : ورأيت في بعض الكتب أن سليمان قال لها :

-لمَ حذّرت النمل . أخفْت ظلمي أما علمت أني نبي عدل . فلم قلت : يحطمنكم سليمان وجنوده؟

فقالت النملة : أما سمعت قولي وهم لا يشعرون . مع أني لم أرد حطم النفوس ، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنينّ مثل ما أعطيت ، أو يفتنّ بالدنيا ويشتغلنّ بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر .

فقال لها سليمان : عظيني

فقالت : أما علمت لم سمي أبوك داود؟

(١) سورة النمل / ١٨ .

قال : لا .

قالت : لأنه داوى جراحة فؤاده . هل علمت لم سميت سليمان؟

قال : لا .

قالت : لأنك سليم الناحية على ما أوتيته بسلامة صدرك وإن لك أن تلحق بأبيك . ثم قالت : أتدري لم سخر الله لك الريح؟

قال : لا . قالت : أخبركَ أن الدنيا كلها ريح .

فتبسم ضاحكاً من قولها متعجباً ، ثم مضت مسرعة إلى قومها

فقالت : هل عندكم من شيء نُهديه إلى نبي الله .

قالوا : وما قَدْرُ ما نهدي له؟ ! والله ما عندنا إلا نبقة واحدة ! !

قالت : حسناً ايتوني بها ، فأتوها بها فحملتها بفيها ، فانطلقت تجرها ، فأمر الله الريح فحملتها ، وأقبلت تشق الإنس والجن ، والعلماء والأنبياء على البساط ، حتى وقفت بين يديه ثم وضعت تلك النبقة من فيها في كفه . وأنشأت تقول :

ألم ترنا نهدي إلى الله مالَه

وإن كان عنه ذا غنى فهو قابلُهْ

ولو كـان يهـدي للجليل بقـدره

لقـصّر عنه البحـر يوماً وسـاحلُهْ

ولكننا نهـدي إلى من نـحـبـه

فـيَـرضى به عنا ويُشْكر فـاعلُهْ

ومـاذاك إلا من كـريم فـعـاله

وإلا فـمـا في ملكنا من يشـاكلُه

إنه سليـمـان ملك الـدنيا يقف مع نملة ، ويستـمع إلى منطقـها ويضحك مبتسماً من تصرفاتها .

ابتسامات للملائكة الكرام

أما الملائكة المكرمون فإنهم يبتسمون ويضحكون للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لمعنى عظيم وقصد كريم .

ذكر السيوطي في (الخصائص الكبرى) قال : أخرج أبو يعلى عن جابر رضي الله عنه قال :

«كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر ـ وبين ابن كثير في بدايته نقلاً عن بعضهم أن تلك الصلاة صلاة العصر مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من بدر ـ إذ تبسم في

صلاته فلما قضى الصلاة قلنا :

- يا رسول الله رأيناك تبسمت؟

قال : مر بي ميكائيل وعلى جناحه أثر الغبار ، وهو راجع من طلب القوم ، فضحك إلي فتبسمت إليه» .

بل إن بعض الملائكة ابتسم لبعض الأنبياء - غير نبينا محمد - صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الإمام الطبري : بينما داود عليه السلام ذات يوم في محرابه إذ تسور عليه الخصمان من قبل وجهه ، فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت وقال :

- لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يتسورون علي محرابي .

قالا له : لا تخف ! خصمان بغى بعضنا على بعض ولم يكن لنا بد من أن نأتيك فاسمع منا .

قال أحدهما : إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى ولي نعجة واحدة . فقال : أكفلنيها يريد أن يتمم بها مائة ويتركني ليس لي شيء وعزني في الخطاب ، قال : إن دعوتُ ودعا كان أكثر ، وان بطشتُ وبطش كان أشد مني ، فذلك قوله : ﴿وَعَزَّنِي فِي

الخِطَابِ﴾[١] . قال له داود : أنت أحوج إلى نعجتك منه . **﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾**[٢] ، . ونسي نفسه . فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك ، فتبسم أحدهما إلى الآخر ، فرآه داود وظن أنما فتن **﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾**[٣] أربعين ليلة حتى نبتت الخضرة من دموع عينيه ، ثم شدد الله له ملكه .

ابتسامة العابد جريج :

أما من سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من طبقة الصالحين والأتقياء والأولياء فضحكهم كثير مأثور محفوظ . . . ومن هؤلاء الراهب الشهير جريج الذي ضرب به المثل في العبادة ، والذي أنطق الله له الطفل الرضيع ليظهر براءته .

جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كان جريج يتعبد في صومعته قال فأتته أمه .

فقالت : يا جريج أنا أمك فكلمني .

---

(١) سورة ص / ٢٣ .
(٢) سورة ص / ٢٤ .
(٣) سورة ص / ٢٤ .

قال : وكان أبو هريرة يصف كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفها (وضع يده على حاجبه الأيمن) قال : فصادفَتْه يصلي .

فقال : يا رب أمي وصلاتي ! ! فاختار صلاته . فرجعت ثم أتت فصادفته يصلي .

فقالت : يا جريج أنا أمك فكلمني

فقال : يا رب أمي وصلاتي . فاختار صلاته . ثم أتته فصادفته يصلي .

فقالت : يا جريج أنا أمك فكلمني .

قال : يا رب أمي وصلاتي . فاختار صلاته .

فقالت : اللهم إن هذا جريج ، وإنه ابني ، وإني كلمته فأبى أن يكلمني ، اللهم فلا تمته حتى تريه المومسات . ولو دعت عليه أن يفتتن لافتتن .

قال : وكان راع يأوي إلى ديره . قال فخرجت امرأة فوقع عليها الراعي فولدت غلاماً .

فقيل ممن هذا؟ فقالت : هو من صاحب الدير ، فأقبلوا بفؤوسهم ومساحيهم ، وأقبلوا إلى الدير ، فنادوه فلم يكلمهم ،

فأخذوا يهدمون ديره فنزل إليهم .

فقالوا : سل هذه المرأة . قال أراه تبسم . قال : ثم مسح رأس الصبي

فقال : من أبوك قال : راعي الضأن .

فقالوا : يا جريج نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة؟

قال : لا ، ولكن أعيدوه تراباً كما كان ، ففعلوا» .

تبسمك في وجه أخيك صدقة... من جوامع الكلم

ـ روايات . . . وطرق

هذه وقفة مع حديث التصدق بالتبسم الذي هو من جوامع كلامه صلى الله عليه وسلم وبليغ لفظه ونفيس دره .

وقد أورد الإمام المحدث المنذري في (الترغيب والترهيب) روايات الحديث ، فقال : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق» «رواه مسلم» .

وعن الحسن رضي الله عنه (يقصد الحسن البصري) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت طليق الوجه» رواه ابن أبي الدنيا وهو مرسل .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك» رواه أحمد والترمذي ،

وقال : حسن صحيح . وصدره في الصحيحين من حديث حذيفة وجابر رضي الله عنهما .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«تبسمك في وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلالة لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة» رواه الترمذي وحسّنه ، وابنُ حبان في صحيحه وزاد : (وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة) .

وعن أبي جري الهجيمي رضي الله عنهما قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت :

يا رسول الله ، إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئاً ينفعنا الله به ، فقال : «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط . . .» رواه أبوداود والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

وفي رواية للنسائي : «لا تحقرن من المعروف شيئاً أن تأتيه ، ولو أن تهب صلة الحبل ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ،

ولو أن تلقى أخاك المسلم ووجهك بسط إليه ، ولو أن تونس الوحشان بنفسك ، ولو أن تهب الشسع» .

تلكم هي ألفاظ أحاديث تأمر أمر استحباب وتأديب بالابتسام والانبساط واستقبال الناس بوجه طلق بشوش ضاحك .

ـ الابتسامة والبشاشة وطلاقة الوجه :

وقد أكثر العلماء من الحديث حول تلك الروايات ، وحول فضل الابتسامة وطلاقة الوجه والبشاشة ومعانيها .

قال الطيبي : المعروف : اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والإحسان إلى الناس ، وهو من الصفات الغالبة ، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لم ينكروه ، ومن المعروف النَصَفة (الإنصاف) وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم ، وتلقي الناس بوجه طلق . والطلاقة في الوجه ضد العبوس ، والوجه الطلق هو الذي فيه البشاشة والسرور ، فإنه يصل إلى قلبه سرور ، ولا شك أن إيصال السرور إلى قلب مسلم حسنة .

وقد عنون النووي الباب ، فقال : باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء . قوله صلى الله عليه وسلم : «ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» روي طَلْق وطَلِق وطليق ، ومعناه : سهل منبسط ، فيه الحث

على فضل المعروف وما تيسر منه وإن قل ، حتى طلاقة الوجه عند اللقاء .

وقال المناوي في (فيض القدير) : «تبسمك في وجه أخيك» أي في الإسلام «لك صدقة» يعني إظهارك له البشاشة والبشر إذا لقيته تؤجر عليه ، كما تؤجر على الصدقة .

قال بعض العارفين : التبسم والبشر من آثار أنوار القلب ، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾[1] . قال ابن عيينة : البشاشة مصيدة المودة .

والبر شيءٌ هينُ وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليّنُ

وفيه رد على العالم الذي يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم ، وعلى العابد الذي يعبس في وجهه ويقطب جبينه كأنه منزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم ، قال الغزالي : ولا يعلم المسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى يُقطب ، ولا في الوجه حتى يعفر ، ولا في الخد حتى يصعر ، ولا في الظهر حتى ينحني ، ولا في الذيل حتى يضم ، إنما الورع في القلب ! !

(١) سورة عبس/ ٣٨ - ٣٩ .

ـ طلاقة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقد اشتهرت طلاقة الوجه في رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتهاراً ما عليه مزيد ، وهي صورة أخرى لتبسمه صلى الله عليه وسلم وإظهاره البشر في وجه جلسائه ومخاطَبيه ومَنْ يَسْتقبلهم ، حتى ولو سبقت منهم عداوات أو معاندات .

ترجم ابن سعد في (الطبقات الكبرى) لخالد بن الوليد رضي الله عنه ، وأورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل خالداً غداة هجرته إليه بوجه طلق ، رغم ما كان من خالد قبل إسلامه من عداء سافر ومكر عظيم بالإسلام والنبي والمسلمين .

قال ابن سعد : كان خالد بن الوليد بن المغيرة يُكَنّى أبا سليمان ، وأمه عصماء أم لبابة بنت الحارث أخت أم الفضل بن الحارث من بني العباس بن عبدالمطلب . كان من فرسان قريش وأشدائهم ، وشهد مع المشركين بدراً وأحداً والخندق ، ثم قذف الله في قلبه حب الإسلام لما أراد الله به من الخير .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام القضية (عمرة القضاء في السنة السابعة أو الثامنة) مكة فتغيب خالد ، فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخاه الوليد بن الوليد فقال : أين خالد؟ قال : فقلت : يأتي الله به . فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : ما مثل خالد من جهل الإسلام ، ولو جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ، ولقدمناه على غيره .

فبلغ ذلك خالد بن الوليد فزاده رغبة في الإسلام ونشطه للخروج . فأجمع الخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال خالد : فطلبتُ مَنْ أُصَاحب ، فلقيت عثمان بن طلحة فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة . قال فخرجنا جميعاً .

فلما كنا بالهداة إذا عمرو بن العاص قال : مرحباً بالقوم ، قلنا : وبك ، قال : أين مسيركم؟ فأخبرناه ، وأخبرنا أيضاً أنه يريد النبي صلى الله عليه وسلم .

فاصطحبنا جميعاً حتى قدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم من صفر سنة ثمان ، فلما طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير .

وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت :

ـ استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله .

فقال : إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله .

قلت : يا رسول الله على ذلك .

قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك .

قال خالد : وتقدم عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة فأسلما وبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يحز به .

هكذا استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد جيش المشركين وفارس قريش الأول عند قدومه عليه بوجه بشوش طلق المحيا بسّام الثغر .

إن التبسم عند اللقاء ، وصباحة الوجه ، وبشره وانفراج أساريره ، وبعده عن العبوس والتقطيب عبادة في الدين ، يجني ثمراتها صاحبها رضىً من الله ، وقبولاً عند العباد ، وزيادة في المثوبة ، وراحة في النفس .

ـ التمسوا الخير عند حسان الوجوه :

ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على البحث عن أصحاب الوجوه الباشّة الحسنة الضاحكة ، ليكون قضاء حاجات

الناس على أيديهم ، فأصحاب هذه الوجوه الصبوحة أقرب إلى فعل كل جميل ، واقتحام كل مكرمة ، وعمل كل معروف .

قال العجلوني في (كشف الخفاء) : حديث : «التمسوا الخير عند حسان الوجوه» رواه الطبراني وأبويعلى عن يزيد بن حصيفة عن أبيه عن جده مرفوعاً . ورواه تمام في (فوائده) بإسناد جيد عن ابن عباس . وله طرق عن أنس وجابر وعائشة وابن عمر وأبي بكر وأبي هريرة رضي الله عنهم . ولفظ أكثرهم : «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه« ولفظ القسملي : «إذا طلبتم الحاجات فاطلبوها إلى حسان الوجوه» ، وفي رواية : «اطلبوا الحوائج والخير» وزاد بعضهم : «فإن قضى حاجتك قضاها بوجه طلق ، وإن ردّك ردك بوجه طلق» .

ونقل العجلوني عن الشيخ مرعي الحنبلي في رسالة له سمّاها : (تحسين الطرق والوجوه في قوله صلى الله عليه وسلم «اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه» بعد نقل طرقه عن السيوطي في (الدرر المصنوعة) قوله : وهذا الحديث في نقدي حسن صحيح .

وتتقوى طرق هذا الحديث بما رواه ابن النجار في تاريخ بغداد عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اطلبوا

حوائجكم عند صباح الوجوه ، وإذا بعثتم إلي بريداً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» .

وبما رواه الحافظ السلَفي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلَى الله عليه وسلم : «إذا سألتم الحوائج فاسألوها الناس . قالوا : ومن الناس يا رسول الله؟ قال : أهل القرآن . قالوا : ثم من يا رسول الله؟ قال : ثم أهل العلم . قالوا : ثم من يا رسول الله؟ قال : ثم صباح الوجوه» .

وأورده الإمام المناوي فيض القدير ، شرح الجامع الصغير ،

- «إذا التقى المسلمان فتصافحا - زاد الطبراني وضحك (أي تبسم) كل منهما في وجه صاحبه - وحمدا الله واستغفرا غفر لهما» رواه أبو داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه .

وذكر العجلوني في كشف الخفا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم«من تبسم في وجه غريب ضحك الله في وجهه يوم القيامه» . قال ابن حجر المكي في الفتاوي : رواه الديلمي .

هذه طائفة من الأحاديث المتقوية سنداً ببعضها البعض ، الصحيحة معنى بالأدلة الشرعية الكثيرة عدداً وألفاظاً ، المتعلقة بالتبسم والطلاقة والبشاشة .

وأضاف العجلوني في ختام كلامه على حديث : «التمسوا الخير عند حسان الوجوه» : مناجاةً لبعض المؤمنين المستشفعين برسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الوجه الحسن والابتسامة الدائمة ، فقال : ولبعضهم :

سيدي أنت أحسن الناس وجهاً ... كن شفيعي في يومِ هولٍ كريهِ

قد روى صحبك الكرام حديثاً : ... اطلبوا الخير عند حسان الوجوهِ

وكان في زمن النبي وحضرته من يضحكه ويضحك الناس

ـ خفة الروح وحلاوة المداعبة :

اختص بعض الناس بخفة الروح وظرافة المنطق وحلاوة المداعبة . . . إذا تكلموا أضحكوا ، وإذا تصرفوا على سجيتهم أضحكوا ، وإذا تعاملوا مع الآخرين أضحكوا . . .

ومثل هؤلاء الناس ذكروا في السيرة النبوية ، وتحدث عنهم كتّابها في معرض سردهم للحياة المدنية وأنشطتها أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرف هؤلاء (بالمضحكين) . بل إن بعض كتاب السيرة النبوية أورد أسماء رجال ونساء من الصحابة الكرام اشتهروا بذلك .

ولقد عقد بعضهم باباً خاصاً للمضحكين والمضحكات في الزمن النبوي ، كما فعل الكتاني في كتابه (التراتيب الإدارية للحكومة النبوية) .

ولم يكن هؤلاء بعيدين عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي كان بساماً ويحب التبسم ، وكان أكثر الناس تبسماً . . .

ويأتي حديثنا عن هؤلاء الرجال أو النساء (المضحكين

والمضحكات) وسرد أخبارهم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليبرهن لنا على أن الحياة الحلوة المرحة لم تكن خافية ولا مستنكرة في سيرة وبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ أزواج رسول الله ﷺ يضحكنه ويضحكن :

وأقرب هؤلاء الناس ممن يحبون المزاح والإضحاك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة من زوجاته الكريمات وإحدى أمهات المؤمنين الفاضلات . . . إنها سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية ، أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة بعد خديجة ، خطبتها خولة بنت حكيم .

وكانت سودة رضي الله عنها من النساء المرحات ربما مازحت النبي صلى الله عليه وسلم وأضحكته .

يقول ابن حجر في (الإصابة) وأورده ابن أبي شيبة في مصنفه : كانت سودة تضحكه صلى الله عليه وسلم بالشيء أحياناً . عن إبراهيم قال : قالت سودة لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

«صليت خلفك الليلة ـ وكان إذا صلى في الليل أطال القيام والركوع والسجود ـ فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم ! ! فضحك صلى الله عليه وسلم» .

ويبدو أنها لمزاحها تعرضت لمزاح ومداعبة من قبل بعض ضرائرها من أمهات المؤمنين .

ذكر ابن حجر في (الإصابة) عن خُليسة جارية حفصة بنت عمر أم المؤمنين أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما كانتا جالستين تتحدثان ، فأقبلت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت إحداهما للأخرى :

ـ «أما ترين سودة ما أحسن حالها لنفسدن عليها . وكانت من أحسنهن حالاً ، كانت تعمل الأديم الطائفي ، فلما دنت منهما قالتا لها :

ـ يا سودة أما شعرت؟ !

قالت : وما ذاك؟

قالتا : خرج الأعور (أي المسيح الأعور الدجال) . ففزعت وذهبت حتى دخلت خيمة لهم يوقدون فيها . فأتتا (عائشة وحفصة) النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأتاه استضحكتا ، وجعلتا لا تستطيعان أن تكلماه حتى أومأتا ، فذهب حتى قام على باب الخيمة .

فقالت سودة : يا نبي الله خرج الأعور الدجال؟ !

فقال : لا . فخرجت تنفض عنها نسيج العنكبوت»

ـ نزول المضحكات المكيات عند المضحكات المدنيات :

ونقل الكتاني في (التراتيب) عن الزبير بن بكار من كتاب (المزاح والفكاهة) من حديث ابن هشام عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : «أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن ، فلما هاجرن ووسع الله دخلت المدينة . قالت عائشة : فدخلت علي .

فقلت : فلانة ما أقدمك؟

قالت : إليكن .

قلت : فأين نزلت؟

قالت : على فلانة امرأة (أخرى) كانت تضحك بالمدينة .

قالت : ودخل رسول الله فقال : «فلانة المضحكة عندكم؟

قالت عائشة : نعم .

قال : فعلى من نزلت؟

قالت : على فلانة المضحكة .

قال : الحمد لله ! إن الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها

ائتلف وما تناكر منها اختلف» متفق عليه .

ـ نعيمان أشهر المضحكين :

ومن أشهر المضحكين في الزمن النبوي نعيمان بن عمرو بن رفاعة الأنصاري شهد العقبة وبدراً والمشاهد بعدها . قال ابن الأثير في (أسد الغابة) :

كان كثير المزاح يَضْحَكُ النبي صلى الله عليه وسلم من مزاحه ، وهو صاحب سويبط بن حرملة أو سويط بن حرملة .

وقصة نعيمان وسويبط (أو سويط) فصلها لنا صاحب (السيرة الحلبية) قال : ذكر أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجراً إلى بصرى ومعه نعيمان بن عمرو الأنصاري وسويط بن حرملة ، وكلاهما بدري ، وكان سويط على زاد أبي بكر ، فجاءه نعيمان وقال له :

ـ أطعمني .

فقال : لا ، حتى يأتي أبو بكر .

وكان نعيمان رجلاً مضحاكاً مزّاحاً فيه دعابة وله أخبار ظريفة في دعابته ، فقال لسويط : لأغيظنك . فذهب إلى ناس (وفي رواية) فمروا بقوم .

فقال لهم نعيمان : تشترون مني عبداً لي؟

فقالوا : نعم .

قال : إنه عبد له كلام ، وهو قائل لكم لست بعبده أنا رجل حر ، فإن كان إذا قال لكم هذه تركتموه فلا تشتروه ، ولا تفسدوا علي عبدي .

قالوا : لا بل نشتريه ولا ننظر في قوله .

فاشتروه منه بعشر قلائص ، فأقبل بها يسوقها ، وأقبل بالقوم حتى عقلها .

ثم قال : دونكم هو هذا .

فجاء القوم له وقالوا له : قد اشتريناك .

فقال : هو كاذب أنا رجل حر ! !

(وفي رواية) أنهم وضعوا عمامته في عنقه وذهبوا به ولم يسمعوا كلامه .

فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبره خبره . فذهب هو وأصحابه واتبعوا القوم ، وأخبروهم أنه يمزح وردوا عليهم القلائص وردوا سويطاً منهم . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر ، فضحك رسول الله صلى الله عليه

وسلم حولاً كاملاً .

ولنعيمان حادثة أخرى مضحكة :

ذكر ابن عبدالبر في الاستيعاب وابن حجر في الإصابة عن ربيعة بن عثمان قال :

«أتى أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ ناقته بفنائه ، فقال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لنعيمان :

ـ لو نحرتها فأكلناها فإنا قد قرمنا إلى اللحم (اشتقنا إليه) ويغرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنها . قال فنحرها نعيمان . ثم خرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح :

ـ واعقراه يا محمد .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من فعل هذا؟

فقالوا : نعيمان . فاتّبعه يسأل عنه فوجدوه في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب مستخفياً ، فأشار إليه رجل ورفع صوته :

ـ ما رأيته يا رسول الله . وأشار بأصبعه حيث هو .

فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له :

ـ ما حملك على هذا؟

قال : الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح وجهه ويضحك . وغرم ثمنها» .

وفي رواية أوردها العباس الشقاني في كتابه (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه) بسندها عن عروة بن الزبير عن أبيه قال :

أقبل أعرابي على ناقة له حتى أناخ بباب المسجد فدخل على نبي الله . وحمزة بن عبدالمطلب جالس في نفر من المهاجرين والأنصار فيهم النعيمان .

فقالوا لنعيمان : ويحك إن ناقته ناوية (يعني سمينة) فلو نحرتها فإنا قد قرمنا إلى اللحم ، ولو قد فعلت غرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكلنا لحمها .

فقال : إني إذا فعلت ذلك وأخبرتموه بما صنعت وَجَدَ عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالوا : لا نفعل . فقام فضرب في لبتها (نحرها) ثم انطلق فمر بالمقداد بن عمرو وقد حفر حفرة وقد استخرج منها طيناً فقال :

- يا مقداد غيبني في هذه الحفرة وأطبق علي ، ولا تدل علي أحداً ، فإني قد أحدثت حدثاً ففعل .

فلما خرج الأعرابي رأى ناقته فصرخ ، فخرج نبي الله .

فقال : من فعل هذا؟

قالوا : نعيمان .

قال : وأين توجه؟

فتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حمزة وأصحابه حتى أتى على المقداد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد : هل رأيت لي نعيمان؟ فصمت .

فقال : لتخبرني أين هو .

فقال : ما لي به علم ، وأشار بيده إلى مكانه .

فكشف رسول الله . فقال : أي عدو نفسه ، ما حملك على ما صنعت؟

قال : والذي بعثك بالحق لأمرني به حمزة وأصحابه وقالوا كيت وكيت .

فأرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعرابي من ناقته

وقال : شأنكم بها ، فأكلوها»

ـ يهدي إلى النبي ﷺ ثم يطلب الثمن :

وأضاف الكتاني وهو يسرد حوادث بعض المضحكين أيام النبي صلى الله عليه وسلم : أخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم «أن رجلاً (وفي بعض المصادر أن اسمه عبدالله ويلقب حماراً) كان يهدي النبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن والعسل ، فإذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال : أعط هذا متاعه . فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبتسم ويأمر به فيعطى»

ووقع في حديث محمد بن عمرو بن حزم «وكان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها (الطرفة الشيء من الفاكهة أو الطعام أول ما يوجد) ثم جاء فقال :

ـ يا رسول الله هذا أهديته لك .

فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فيقول :

ـ أعط هذا الثمن .

فيقول : ألم تهده لي؟

فيقول : ليس عندي . فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه»

- عمر بن الخطاب يضحك رسول الله ﷺ

وممن أضحك النبي صلى الله عليه وسلم في موقف مهيب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الرغم مما اشتهر به من قوة وبأس .

جاء (في الخصائص الكبرى) : أخرج مسلم والنسائي وأحمد عن جابر رضي الله عنه قال :

«دخل أبو بكر وعمر على النبي صلى الله عليه وسلم وحوله نساؤه وهو ساكت . فقال عمر : لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم يضحك .

فقال عمر : يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد (امرأة عمر) سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال : هن حولي يسألنني النفقة .

فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر إلى حفصة ، كلاهما يقول :

- تسألان النبي ما ليس عنده ! !

وأنزل الله تعالى الخيار ، فبدأ بعائشة فقال : إني ذاكر لك أمراً

فأحب أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك .

قالت : ما هو ؟

فتلا عليها ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾[1] الآية ، قالت عائشة : أفيك أستأمر أبوي ، بل اختار الله ورسوله» .

ونقل ابن سعد عن مسند الإمام أحمد أن عائشة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، ولا أؤامر في ذلك أبا بكر ولا أم رومان (أبويها) فضحك صلى الله عليه وسلم» .

ـ خوّات بن جبير . . . وقصص مضحك

وممن ذكر عنه أنه كان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم خوات بن جبير الشاعر الجاهلي أولاً ، ثم الإسلامي بعد ذلك ، وهو صاحب قصة ذات النحيين التي ضرب بها المثل فقيل : أشغل من ذات النحيين ، وهو القائل فيها :

فَشَدّتْ على النحيين كفاً صحيحة

فأعجلتُها والفتكُ من فعلاتي .

---

(١) سورة الأحزاب/ ٢٨ .

روي ابن عبدالبر في (الاستيعاب) «أن النبي سأله عنها فلما أخبره بتفاصيلها تبسم ، فقال خوات :

- يا رسول الله قد رزق الله خيراً ، وأعوذ بالله من الحور بعد الكور» .

ولخوات بن جبير قصص آخر مضحك ! ! .

- كانوا يضحكون في حضرته ويبتسم معهم :

وكان الكثير من الصحابة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوردون من قصصهم في الجاهلية قبل الإسلام ما يضحكون منه ويضحكون به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر البخاري في صحيحه عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة :

«أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم كثيراً . كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت الشمس قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم» .

وفي رواية : «كانوا يتناشدون الأشعار ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم» .

ابتسامات نبوية ... لآل البيت الكرام

آل البيت . . . أكرم الخلق

آل بيت النبي وأسرته من أكرم الخلق وأرفعهم مقاماً وأجلهم قدراً في المسلمين ، نطق الكتاب الكريم بفضلهم ، وصرحت الآيات بحقهم ، واتفقت كلمة المسلمين على احترامهم ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١] ، كما قال جل شأنه ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٢] .

وآل البيت الكرام مصطلح يطلق على أقرب الناس صلة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويشمل هذا أولاده كفاطمة وزينب وأم كلثوم ورقية وإبراهيم وعبدالله والقاسم ، ويشمل كذلك بعض أعمامه الذين آمنوا كعباس وحمزة ، ويدخل فيهم أبناء أبي طالب كعلي وعقيل ، ويدخل فيهم عند كثير من العلماء أزواجه صلى الله عليه وسلم لصراحة الآية فيهم ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾[٣] ، ثم ذكر الله ﴿إِنَّمَا

(١) سورة الأحزاب / ٣٣ .
(٢) سورة الشورى / ٢٣ .
(٣) سورة الاحزاب / ٣٢ .

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[١] ، ولأن الله عد زوجة موسى من آله ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾[٢] ، ولأن أزواجه تحرم عليهم الصدقة كما تحرم على آل البيت ، ولاعتبارات أخرى كثيرة .

وسنحاول هنا أن نجمع بعض الابتسامات النبوية الكريمة التي خص بها رجال ونساء من أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين .

ـ أنت أحب إلي وهو أعز علي

أولاً: روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على علي وفاطمة وهما يضحكان ، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم سكتا .

فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : ما لكما كنتما تضحكان ، فلما رأيتماني سكتما؟

فبادرت فاطمة فقالت : بأبي أنت يا رسول الله قال هذا : أنا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، فقلت : بل أنا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك .

---

(١) سورة الأحزاب / ٣٣ .
(٢) سورة القصص / ٢٩ .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال : يا بنية لك رقة الولد ، وعلي أعز علي منك» .

ـ إن الله يباهي بكما حملة العرش

ثانياً: جاء في (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى) لمؤلفه أحمد بن عبدالله الطبري ، وقال خرجه أبو القاسم السهمي في الفضائل عن ابن عباس رضي الله عنهما : «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صف المهاجرين والأنصار صفين ، ثم أخذ بيد علي والعباس رضي الله عنهما ، فمر بين الصفين ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال رجل من قريش : ضحكت يا رسول الله فداك أبي وأمي !!

قال : هبط إلي جبريل عليه السلام بأن الله عز وجل باهى بالمهاجرين والأنصار أهل السموات العلى ، وباهى بي وبك يا علي وبك يا عباس حملة العرش ! . .»

ـ لقد رضي الله حكمك فيهم

ثالثاً: ذكر عبدالله بن محمد الأصبهاني في كتابه (أخلاق النبي وآدابه) عن عبدالرحمن قال سمعت علي بن أبي طالب

رضي الله عنه قال :

«لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن أتاني ثلاثة نفر (يبدو أنهم لم يكونوا مسلمين حينما فعلوا فعلتهم) يختصمون في غلام من امرأة وقعوا عليها جميعاً في طهر واحد ، وكلهم يدعي أنه ابنه ، فأقرعت بينهم فألحقته بالذي أصابته القرعة . وبنصيبه لصاحبيه ثلثي دية الحر ، فلما قدمت على رسول الله ذكرت ذلك له ، فضحك حتى ضرب برجليه الأرض .

ثم قال : حكمت فيهم بحكم الله أو قال : لقد رضي الله عز وجل حكمك فيهم» .

ـ خذ من المال ما تطيق حمله

رابعاً : أورد ابن كثير في (التفسير) في تفسير قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ**﴾[1] قال : عن حميد بن هلال قال :

«بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين ثمانين ألفاً ، ما أتاه مال أكثر منه لا قبل ولا بعد . فنثرت

(١) سورة الأنفال/ ٧٠ .

على حصير ، ونودي بالصلاة ، قال : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثل قائماً على المال ، وجاء أهل المسجد ، فما كان يومئذ عد ولا وزن ما كان إلا فيضاً ، وجاء العباس بن عبدالمطلب فحثا في قميصه عليه .

وفي رواية أنس (فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى أحداً إلا أعطاه ، إذ جاءه العباس ، فقال :

- يا رسول الله أعطني ، فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ .

فحثا في ثوب ، وذهب يقوم فلم يستطع .

قال فرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : يا رسول الله ارفع علي (وفي رواية فقال : مر بعضهم يرفعه إلي . قال لا . قال : فارفعه أنت علي قال : لا) فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج مضاحكه أو نابه .

وقال له : أعد من المال طائفة وقم بما تطيق .

قال ففعل . وجعل العباس يقول وهو منطلق : أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزها وهي قوله : ﴿ يُؤْتِكُمْ خَيْرًا

مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ وما ندري ما يصنع بالأخرى وهي قوله : ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[1] .

ـ الطخي بها وجهها

خامساً: أورد الكتاني في (التراتيب الإدارية) عن عائشة رضي الله عنها قالت : «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة (الدقيق يطبخ بلبن أو دسم) طبختها له ، وقلت لسودة ـ والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها ـ كلي ، فأبت ، فقلت لها : كلي فأبت فقلت : إما كلي أو لألطخن بها وجهك . فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع فخذه لها ، وقال لسودة :

الطخي بها وجهها . فلطخت بها وجهي فضحك» . وقال : رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي وأخرجه الملا في سيرته .

ـ ابتسامة لمن صلى على رسول الله ﷺ

سادساً : وهناك ابتسامة نبوية حلوة في بيته . جاء في (الدر المنثور) للسيوطي : أخرج عبدالرزاق عن مجاهد عن أبي طلحة رضي الله عنه قال : «دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الانفال ./ ٧٠

فوجدته مسروراً . فقلت :

يا رسول الله ما أدري متى رأيتك أحسن بشراً وأطيب نفساً من اليوم ، قال :

وما يمنعني وجبريل خرج من عندي فبشرني أن لكل عبد صلى علي صلاة يكتب له بها عشر حسنات ، ويمحى عنه عشر سيئات ، ويرفع له بها عشر درجات ، ويعرض علي كما قالها ، ويرد عليه بمثل ما دعا» .

ـ كل امرأة من نسائك كانت عند رجل غيري :

سابعاً : ومن الابتسامات النبوية ما جاء في معرض التعجب من غيرة النساء من أزواجه .

قال ابن سعد في (الطبقات الكبرى) عن فاطمة الخزاعية قالت : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : «دخل علي يوماً رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقلت : أين كنت منذ اليوم؟

قال : كنت عند أم سلمة

فقلت : ما تشبع من أم سلمة !

قال : فتبسم .

فقلت : يا رسول الله ألا تخبرني عنك لو أنك نزلت بعَدْوتين (ضفتي نهر أو جانبي وادي) إحداهما لم ترع ، والأخرى قد رعيت ، أيهما كنت ترعى؟

قال : التي لم ترع

قلت : فأنا ليس كأحد من نسائك ، كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل غيري .

قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم»

ـ تصومان نفلاً . . . ثم تفطران

ثامناً : وعند البيهقي في (سننه) عن عائشة رضي الله عنها قالت :

«أصبحت أنا وحفصة صائمتين ، فأهدي لنا طعام ، والطعام محروص عليه ، فأكلنا منه ، ودخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فابتدرتني حفصة ، وكانت بنت أبيها .

فقالت : يا رسول الله أصبحنا صائمتين ، فأهدي لنا طعام فأكلنا منه .

فتبسم النبي صلى الله وسلم وقال : صوما يوماً مكانه» .

ـ خرج الدجال الأعور :

تاسعاً : جاء في كتاب (الآحاد والمثاني) عن رزينة قالت : «رأت سودةَ عائشةُ وعندها حفصة ، فجاءت وعليها درع وخمار حبرة ، وقد نقطت نقطتين من زعفران واحداً من ذا الجانب ، والآخر من ذا الجانب .

فقالت حفصة لعائشة : يا أم المؤمنين يدخل عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن وهذه متزينة ونحن قشفتان . فأدركتهم الغيرة .

فقالت حفصة لعائشة : خرج الدجال !

وكانت امرأة طويلة فدخلت خباء كان لوقودهم قالت : واستضحكتا . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سودة تنتفض .

فقال : مالك؟

فقالت : يا رسول الله خرج الدجال؟ فقال : لا وهو خارج .

فأخذ بيدها وأخرجها ، وجعل ينفض بكم قميصه عن وجهها وعن خمارها أثر الدخان ونسج العنكبوت» .

للحسين السبط . . . مضاحَكة :

عاشراً : روى الترمذي والحاكم وابن ماجة عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال : «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى طعام دعي له ، فإذا حسين يلعب في السكة ، فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم أمام القوم وبسط يديه ، وجعل الغلام يفر ههنا وههنا ويضاحكه صلى اللّه عليه وسلم حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى فوق رأسه فقبله» . قال الهيثمي : إسناده حسن .

* * * *

هذه نماذج وصور من ابتساماته صلى الله عليه وسلم لأهل بيته الكرام صغاراً وكباراً ، رجالاً ونساء . لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بساماً للجميع ، ولأهل بيته من ذلك نصيب كبير .

ابتسامات نبوية خاصة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

ـ أبوبكر ورسول الله . . . صحبة وأخوة

ليس بخاف على أحد من الناس العلاقة الوطيدة والصلة القوية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه .

كان أبو بكر صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكانت المحبة والصلة بينهما كبيرة .

ثم كان أبو بكر بعد البعثة أول الرجال إسلاماً ومسارعة إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل وأكثرهم بذلاً وتضحية بنفسه وماله في خدمة الإسلام . وظهر ذلك جلياً في مواطن عديدة أبرزها صبيحة الإسراء والمعراج إذ لم يتردد في تصديق النبأ العجب ، فسمي أبو بكر حينذاك بالصديق .

وازدادت تلك الصلة والمحبة استيثاقاً بخطبة عائشة ابنة أبي بكر وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قَبْل الهجرة ، ثم توطدت عراها الفريدة بالصحبة العظيمة يوم الهجرة ، ثم بزفاف عائشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بالمواقف الخالدة في خدمة الإسلام لأبي بكر في المدينة ، ثم كانت ذروة تلك الصلة بالتأكيد على تولي أبي بكر شئون الصلاة بالمسلمين إماماً قبيل

لحوق النبي بالرفيق الأعلى . . . إنها علاقة وطيدة وصلة خاصة متينة .

ـ الابتسامات المتبادلة المستمرة :

وقد يفسر هذا لنا ويوضح كثرة الابتسامات النبوية التي حظي بها أبو بكر رضي الله عنه دون سائر الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم . وليس هذا استنباطاً نستنبطه ـ وذلك أمر طبيعي ونتيجة حتمية يتوصل إليها من تتبع ابتسامات النبي صلى الله عليه وسلم ـ ولكنه نص مأثور عن الصحابة الكرام الذين شهدوا وأقروا بخصوصية أبي بكر رضي الله عنه بكثير لا حد له من الابتسامات النبوية ، الدالة على الاصطفاء ، المشعرةً برفع الكلفة ، الموحية بالروابط الخاصة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق .

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر ، فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر ، فإنهما كانا ينظران إليهما ، ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما» .

وعند ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه «كان النبي صلى الله

عليه وسلم يخرج إلى المسجد فيه المهاجرون والأنصار ، وما منهم أحد يرفع رأسه من حبوته ، إلا أبوبكر وعمر ، فيبتسم إليهما ويبتسمان إليه» .

ومن الواضح أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس ببعيد عن فضيلة تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه . . . وهذا هو نص الحديث . . .إلا أن لأبي بكر منزلة أعلى .

ـ حسان يمتدح أبا بكر ، ورسول الله يبتسم :

ومما يؤكد تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر تبسماً يدل على مزيد المحبة أنه صلى الله عليه وسلم طلب ذات مرة من أشهر شعرائه حسان بن ثابت أن يمتدح أبا بكر رضي الله عنه فامتدحه .

قال صاحب (السيرة الحلبية) : وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله تعالى عنه :

ـ «هل قلت في أبي بكر شيئاً؟

قال : نعم .

قال : قل وأنا أسمع . فقال :

وثاني اثنين في الغـار المنيف وقـد

طاف العـدو به إذ صـاعـدوا الجـبـلا

وكـان حبَّ رسـول الله قـد علمـوا

مـن البـريـة لم يعـدل به رجـلا

فـضـحك رسـول الله صلى الله عليـه وسلم حـتى بدت نواجذه . وفي لفظ فتبسم ثم قال :

ـ صـدقت يا حسان هو كـما قلت : إنه أحـب البرية إليه» . أي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ضم حسان بن ثابت رضي الله عنه إلى هذين البيتين أبياتاً ثلاثة أخرى فرثى بها أبا بكر رضي الله عنه بعد وفاته ، فكان المجموع خمسة أبيات . والأبيات الثلاثة الأخرى هي كما جاء في (الرياض النضرة) :

إذا تذكـرت شـجـواً من أخي ثقـة

فـاذكـر أخـاك أبا بكـر بما فـعـلا

خـيـرَ البـرية أتقـاها وأعـدلَها

بعـد النبي وأوفـاها بما حـمـلا

والثاني التالي المحمودَ مشهده

وأولَ الناس منهم صدق الرسلا .

ـ مَلَك يدافع عن أبي بكر :

ومن ابتساماته صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ما رواه أحمد في (مسنده) والطبراني في (الأوسط) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن «رجلاً شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعجب ويبتسم . فلما أكثر (الرجل الشاتم) رد عليه (أبو بكر) بعض قوله ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام . فلحقه أبوبكر . فقال :

ـ يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس ، فلما رددتُ عليه بعض قوله غضبتَ وقمتَ .

قال : إنه كان معك مَلَك يرد عنك ، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان ، فلم أكن لأقعد مع الشيطان .

ثم قال : يا أبا بكر ! ثلاث كلهن حق : ما من عبد ظُلم بمظلمة فيغضي عنها لله عز وجل إلا أعز الله بها نصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة» .

ـ لا يدخل جوفه مال حرام أو مشبوه :

وجاء في (فضائل الصحابة) عن القاسم قال : «كان لأبي بكر رضي الله عنه غلام يأتيه بكسبه كل ليلة ، فيسأله عنه :

من أين أصبته؟

قال : أصبته من كذا وكذا . فأتى ليلة بكسبه وأبوبكر قد طال صيامه ، فنسي أن يسأله فوضع يده فأكل ، فقال الغلام لأبي بكر :

ـ كنت تسألني كل ليلة عن كسبي إذا جئتك ، فلم أر سألتني عن كسبي الليلة؟

قال : فأخبرني من أين هو؟

قال : كنت تكهنت لقوم في الجاهلية فلم يعطوني أجر كهانتي ، حتى كان اليوم فلقيتهم اليوم فأعطوني . وإنما كان كذبة .

قال فأدخل أبو بكر أصبعه في حلقه فجعل يتقيأ .

قال : فذهب الغلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره .

فقال النبي : هيه أكذبت أبا بكر . قال : فضحك أحسبه قال ضحكاً شديداً ، وقال : ويحك إن أبا بكر يكره أن يدخل بطنه إلا طيب»

ـ في أبي بكر حدَّة خيار الأمة :

وفي موقف آخر تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق تبسم المتعجب من فعله .

روى أبو داود وأحمد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجاً ، حتى إذا كنا بالعرج (موضع بين مكة والمدينة على أربعة أميال من المدينة) نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا ، فجلستْ عائشة رضي الله عنها إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلستُ (أي أسماء راوية الحديث ، وهي أخت عائشة) إلى جنب أبي . وكانت زمالة أبي بكر وزمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة مع غلام لأبي بكر (الزمالة : البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع) فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه ، فطلع وليس معه بعيره .

قال : أين بعيرك؟

قال : أضللته البارحة .

قالت : فقال أبو بكر : بعير و احد تضله !

قالت : فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم . ويقول :

- انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع . قال ابن أبي رزمة : فما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يقول :

- انظروا إلى هذا المحرم وما يصنع . ويبتسم» .

ـ ويوم الفتح الأكبر ابتسامة للصديق :

أورد ابن كثير في (البداية والنهاية) ذكر إحدى ابتساماته صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ـ وهي كثيرة كما رأينا ـ فقال : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح (وقيل : بعد صلح الحديبية) قول حسان بن ثابت :

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجواءُ
إلى عذراء منزلُها خلاءُ
ديارٌ من بني الحسْاس قَفرٌ
تعفّيها الروامسُ والسماءُ
وكانتْ لا يزال بها أنيسٌ
خلال مروجها نَعَم وشاءُ
فدعْ هذا ولكن من لطيفٍ
يؤرقني إذا ذهبَ العشاءُ

لشعثاءَ التي قد تيمته

فليس لقلبه منها شفاءُ

كأن خبيئة من بيت رأس

يكون مزاجها عسل وماءُ

إلى أن يقول :

عَدِمنا خيلَنا إن لم تروها

تثير النَقْع موعدُها كداءُ

ينازعنَ الأعنةَ مصغياتٍ

على أكتافها الأسَل الظماءُ

تظل جيادُنا متمطرات

يُلَطِّمهنَّ بالخُمُرِ النساءُ

فإمّا تعرضوا عنا اعتمرنا

وكان الفتحُ وانكشف الغطاءُ

وإلا فاصبروا لجِلاد يومٍ

يُعز الله فيه من يشاءُ

وجـبـريلٌ رسـولُ الله فـينا

وروحُ القـدس ليس له كـفـاءُ

وقـال الله : قـد أرسلتُ عـبـداً

يقـول الحقَّ إن نقع البـلاءُ

شـهـدتُ به فـقـومـوا صـدقـوه

فـقلتم : لا نقـومُ ولا نشـاءُ

وقـال الله : قـد سـيّـرتُ جُنْداً

هم الأنصـارُ عـرضـتـهـا اللقـاءُ

ثم يقول :

ألا أبلغ أبا سـفـيـان عني

مـغلغلةً فـقـد برح الخـفـاءُ

بأن سـيـوفَنا تركـتك عـبـداً

وعـبـدُ الدار سـادتهـا الإمـاءُ

هجـوتَ مـحـمـداً فـأجـبتُ عنه

وعـند الـله فـي ذاك الجـزاءُ

أتهـــجـــوه ولستَ له بكفءٍ
فشرّكُـمـا لخيـركـمـا الفـداءُ

هجـوتَ مـبـاركـاً بـراً حنيـفـاً
أمـيَن الله شـيـمـتُـه الـوفـاءُ

أمَنْ يهـجـو رسـولَ الله منكم
ويمدحُـه وينصـرُه سـواءُ

فـإن أبي ووالدَه وعـرضي
لعـرضِ مـحـمـدٍ منكم وقـاءُ

لسـاني صـارمٌ لا عـيبَ فـيـه
وبـحـري لا تـكـدره الـدلاءُ

يقول ابن كثير نقلاً عن ابن اسحاق : بلغني عن الزهري أنه قال : «لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخُمُر تبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه» .

إنها ابتسامة الحبيب إلى حبيبه ، وقد صدق الله وعده ، وجاء نصر الله .

ـ ابتسامة . . . وبشارة بالجنة :

ومن ابتساماته صلى الله عليه وسلم لحبيبه أبي بكر رضي الله عنه ما جاء في (الرياض النضرة) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ «أيكم أصبح اليوم صائماً؟ قال : فسكت القوم ،

فقال أبو بكر : أنا يا رسول الله .

ثم قال : أيكم تصدق اليوم على مسكين؟ فسكت القوم .

فقال أبو بكر : أنا يا رسول الله .

فقال : أيكم شَيّع اليوم جنازة؟ فسكت القوم .

فقال أبو بكر : أنا يا رسول الله .

وفي رواية : أيكم عاد اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر : أنا .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بعثني بالحق ما جمعهن رجل في اليوم إلا دخل الجنة» .

هذا بعض ما تيسر من ابتسامات المصطفى صلى الله عليه وسلم للرجل الأول في الأمة أبي بكر الصديق الأول ، وشيخ الصحابة المبجل . رضوان الله عليه وعليهم أجمعين .

الابتسامات النبوية.. لعائشة الصديقة وفي بيتها

أحب زوجاته وآثرهن عنده

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها ، من النساء الشهيرات في الدنيا . . . صحابية جليلة وعالمة كبيرة ، إحدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل أحبهن إليه وأقربهن إلى قلبه . . . وهي الزوجة الوحيدة التي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً . . . لا ينكر فضلها ، ولا يخفى مقامها ، ولا تجهل رتبتها . . . يكفيها شرفاً أن تلقب بحبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أورد ابن سعد في (الطبقات) عن مصعب بن سعد قال : فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة ألفين ، وقال :

- إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى ابن سعد كذلك عن قيس بن أبي حازم أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : يا رسول الله من أحب الناس إليك؟

قال : عائشة .

كان بساماً في بيته مع نسائه ﷺ

عائشة الزوجة الأثيرة والمرأة الشريفة كان لها نصيب وأي

نصيب من ابتسامات النبي صلى الله عليه وسلم . . . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بساماً في بيته ولنسائه بشكل عام . . . إذ لم يعرف عنه العبوس والزجر والتجهم والتكبر في البيت أبداً . بل كان سهلاً بشوشاً مرحاً في بيته ، يضفي عليه الهدوء والسكينة ، وينشر في جنباته الفرحة والبشر .

يقول ابن كثير في (تفسيره) : وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر ، يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقة ويضاحك نساءه .

فإذا كان ذلك عامة حاله صلى الله عليه وسلم مع أزوجه جميعاً في بيوته كلها . . . فكيف مع أحبهن إلى قلبه وأقربهن إلى لبه .

لعائشة من الود ما ليس لغيرها! . .

قال ابن القيم في (زاد المعاد) : ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها ، وكانت أحب الخلق إليه ، ونزل عذرها من السماء (أي براءتها وشرفها) ، واتفقت الأمة على كفر قاذفها ، وهي أفقه نسائه وأعلمهن ، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق ، وكان الأكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرجعون إلى قولها ويستفتونها .

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها :

«أُريتك في المنام مرتين أُرى أنك في سَرَقة (أي أرى صورتك في قطعة) من حرير ، ويقال : هذه امرأتك ، فأكشف عنها فإذا هي أنت ، فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه» .

لعب وصور ، وابتسامة نبوية

ومما روي عن ابتسامات النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وملاطفتها ما رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت :

«قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها (مخدعها) ستر ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب .

فقال : ما هذا يا عائشة؟

قالت : بناتي . ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع

فقال : ما هذا الذي أرى وسطهن؟

قالت : فرس

قال : وما هذا الذي عليه؟

قالت : جناحان .

قال : فرس له جناحان؟

قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة .

قالت : فضحك حتى بدت نواجذه» .

ولعب عائشة هذه التي ضحك منها النبي صلى الله عليه وسلم لها من ملاطفة الرسول صلى الله عليه وسلم حديث آخر .

روى البيهقي في السنن الكبرى عن عائشة رضي الله عنه قالت : «كنت ألعب بالبنات في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وكن لي صواحب يأتينني فيلعبن معي ، فينقمعن إذا رأين رسول الله . وكان رسول الله يسرّبهن إلي «وفي رواية يدخلهن إلي فيلعبن معي» .

وفي رواية «كان يرسل إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها» .

إنها ابنة أبي بكر . . . وابتسامة

ومن ابتساماته صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ما أخرجه الإمام أحمد في (المسند) عن الزهري عن محمد بن عبدالرحمن الحارث عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت :

«أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنت - والنبي صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مرطها - فأذن لها فدخلت عليه .

فقالت : يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أي بنية ألست تحبين ما أحب؟ !

قالت : بلى .

قال : فأحبي هذه لعائشة .

فقامت فاطمة فخرجت ، فجاءت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فحدثتهن بما قالت وبما قال لها ، فقلن لها :

ما أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقالت فاطمة :

والله لا أكلمه أبدا .

فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، فاستأذنت فأذن لها فدخلت .

فقالت : يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل

في ابنة أبي قحافة ، قالت عائشة : ثم وقعت بي زينب . قالت عائشة : فطفقت أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم متى يأذن لي فيها فلم أزل حتى عرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر . قالت : فوقعت بزينب فلم أنشبها أن أفحمتها ، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

إنها ابنة أبي بكر» .

وعند ابن ماجه «أن زينب لما دخلت بيت عائشة وكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وهي غضبى قالت :

يا رسول الله حسبك إذا قلبت لك بنية أبي بكر ذريِّعتيها . . . أي ذراعيها . ثم أقبلت علي فأعرضت عنها ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم :

دونك فانتصري ، فأقبلت عليها حتى رأيتها وقد يبس ريقها في فيها ما ترد علي شيئاً ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه فرحاً» .

أكُلُّ هذا الاسترجاع من أجل هذه الشوكة؟

ومن ابتساماته صلى الله عليه وسلم لعائشة ما ذكره السيوطي في (الدر المنثور) قال : أخرج الديلمي عن عائشة قالت :

«أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لدغته شوكة في إبهامه ، فجعل يسترجع منها ويمسحها ، فلما سمعت استرجاعه دنوت منه فنظرت ، فإذا أثر حقير . فضحكت

فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أكل هذا الاسترجاع من أجل هذه الشوكة؟ ! فتبسم ثم ضرب على قلبي فقال :

يا عائشة إن الله عز وجل إذا أراد أن يجعل الصغير كبيراً جعله ، وإذا أراد أن يجعل الكبير صغيراً جعله ! ! »

الابتسامة الكبرى عند البراءة العظمى

ولعل أعظم ابتسامة من النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة عندما فرج الله عنها الغم وأظهر البراءة وكذّب المنافقين ، فأنزل براءتها مما رماها به المنافقون والأفاكون في عشر آيات تتلى من كتاب الله من سورة النور ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ . . . .** ﴾[1] .

روى البخاري حديث الإفك - وأعظمْ برمي عائشة بالزنا من إفك - وهو حديث طويل نقتطف منه ما يلي : قالت عائشة رضي الله عنها بعد أن ذكرت تزاحم الشكوك والاتهامات من حولها ،

---

(١) سورة النور/ ١١ .

قالت :

«وأنا حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرّئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحياً يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فوالله ما رام رسول الله ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أُنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول ، فكانت أول كلمة تكلم بها :

ـ يا عائشة أما أنت فقد برأك الله .

فقالت أمي : قومي إليه

فقالت فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله الذي برأني» .

زاد الطبري : «فوالله الذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب مازال يضحك حتى أني لأنظر إلى نواجذه سروراً ثم مسح عن وجهه

فقال : يا عائشة أبشري قد أنزل الله عذرك

قلت : بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك» .

وقد أشار الإمام ابن حجر إلى فائدة ابتسامته صلى الله عليه وسلم عند نزول براءة عائشة رضي الله عنها بقوله : يؤخذ من الحديث تدريج من وقع في معصية فزالت عنه ، لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه ، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك ، ثم بتبشيرها ، ثم إعلامها ببراءتها مجملة ، ثم تلاوته الآيات على وجهها ، وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش لا يمكّن من المبالغة في الري في الماء ، لئلا يفضي به ذلك إلى التهلكة ، بل يجرع قليلاً قليلاً .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

- «إذا كان يوم القيامة حد الله الذي قذفوا ثمانين ثمانين على رؤوس الخلائق ، فيستوهب ربي المهاجرين منهم ، فأستأمرك يا عائشة : فسمعت عائشة الكلام وهي في البيت فبكت ثم قالت :

- والذي بعثك بالحق نبياً لسرورك أحب إلي من سروري .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً ، وقال :

إنها ابنة أبيها ! !» .

ابتسامة من أجل أسامة وزيد

ومن ابتساماته صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة - وهي كثر - ما رواه النسائي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت :

- «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليَّ مسروراً تبرق أسارير وجهه ، فقال : ألم تري أن مجززاً (وهو أحد القافة المتفرسين) نظر إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد (وكانا نائمين في المسجد ، وقد غطيا أجسادهما ولم تظهر سوى أقدامهما) فقال :

إن هذه الأقدام لمن بعض .

وسر ابتسامته صلى الله عليه وسلم : أن قول مجزز هذا فيه رد على المنافقين الذين شككوا ببنوة أسامة (وكان أسود اللون) لأبيه زيد (وكان أبيضا) .

وابتسامة أخرى بعد مسابقة وجري

ونقل الكتاني في (التراتيب الإدارية) عن مسند الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت :

«خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن ، فقال للناس :

تقدموا فتقدموا

ثم قال : حتى أسابقك . فسابقته فسبقته

فسكت عني ، حتى حملت اللحم وبدنت وسمنت ، وخرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس : تقدموا

فقال : أسابقك . فسبقني فجعل يضحك ويقول :

هذه بتلك . . .»

أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما ! :

عن النعمان بن بشير قال :

-«جاء أبو بكر يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن له فدخل .

قال : يا ابنة أم رومان وتناولها : أترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال فحال النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينها .

قال : فلما خرج أبو بكر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها يترضاها : ألا ترين أني قد حلت بين الرجل وبينك ،

قال : ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه فوجده يضاحكها ، قال

فأذن له فدخل ، فقال له أبو بكر :

يا رسول الله أشركاني في سلمكما ، كما أشركتماني في حربكما» رواه أحمد في مسنده

لقد دعوت الله باسمه الأعظم :

وجاء في سنن ابن ماجه عن عبد الله بن عكيم الجهني ، عن عائشة قالت : «سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول :

- «اللهمَّ ! إني أسْألُكَ باسْمكَ الطَّاهر الطَّيِّب المُبَارك الأحَبِّ إلَيْكَ ، الَّذي إذَا دُعيتَ به أجَبْتَ . وإذَا سُئلْتَ به أعْطَيْتَ . وإذَا استُرْحمْتَ به رَحمْتَ . وَإذَا استُفْرجْتَ به فَرَّجْتَ .

قَالَتْ : وقَالَ ذات يَوْمٍ .

يَاعَائشَةُ ! هَلْ علمْت أنَّ اللهَ قَدْ دلَّني علَى الاسْمِ الَّذي إذَا دُعيَ به أجَابَ؟ .

قَالَتْ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! بأبي أنْتَ وأُمِّي ! فَعَلِّمْنيه .

قَالَ إنَّهُ لا يَنْبَغي لَك يَاعَائشَةُ ! .

قَالَتْ ، فَتَنَحَّيْتُ وَجَلَسْتُ سَاعَةً . ثُمَّ قُمْتُ فَقَبَّلْتُ رَأسَهُ ، ثُم قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! علِّمْنيه .

قَالَ : إنَّه لاَ يَنْبَغي لَك ، يَاعَائشَةُ ! أنْ أُعَلِّمَك . إنَّهُ لاَ يَنْبَغي لَك أنْ تَسْألِينَ به شَيْئاً منَ الدُّنْيَا .

قَالَتْ : فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ . ثُمَّ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْن . ثُمَّ قلْتُ : اللَّهُمَّ ! إنِّي أدْعُوكَ اللهَ . وَأدْعُوكَ الرَّحْمنَ . وَأدْعُوكَ البَرَّ الرَّحيمَ . وَأدْعُوكَ بأسْمَائكَ الحُسْنَى كُلِّهَا ، مَاعَلمْتُ منْهَا وَمَا لَمْ أعْلَمْ . أنْ تَغْفرَ لي وَتَرْحَمَني .

قَالَتْ ، فَاسْتَضْحَكَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ قَالَ : إنَّهُ لَفي الأسْمَاء الَّتي دَعَوْت بهَا» .

قال المناوي في فيض القدير : وقالت له عائشة مرة في كلام غضبت عنده .

وأنت الذي تزعم أنك نبي الله . «فتبسم» كما في خبر أبي يعلى وأبي الشيخ عن عائشة رضي الله عنها .

إنها ابتسامات نبوية شتى التقطنا بعض أطرافها ، لنرى كيف كانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم مليئة بالفرحة والسرور والبشاشة ، وكيف كان لعائشة أم المؤمنين ، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نصيب وافر منها .

إشاعة خطيرة جداً... تدحضها ابتسامة نبوية

مقدمة :

بعض الأخبار ذو أهمية كبرى في الحياة . . . ما يكاد يعلن عنه حتى يسري كالبرق في السماء أو كالنار في الهشيم ، فكيف إذا انضم إلى ذلك ترقب الناس له ، وتوقعهم لحدوثه على لهفة أو تخوف . . . إنه كالحجر الملقى بقوة في ماء رقراق ، يحدث تموجات واضطراباً ، ودوائر من ردة الفعل تمتد حوله وتتوسع بقدر قوته وشدته . . .

وإذا أردنا تحديد زمن هذه القصة فلعله يكون في السنة السابعة بعد الهجرة ، لما بثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله في الآفاق يدعو الملوك والساسة العالمين إلى الدخول في دين الله واتباع رسول الله . فأحدث ذلك دوياً عظيماً في تلك الممالك الشرقية والغربية . . . وكان صداه في المملكتين الكبيرتين (الروم والفرس) كبيراً ، إذ أنه كان أول احتكاك بين المسلمين القادمين من بلاد العرب المنسية وأعظم ملوك الدنيا وقياصرة العالم . . .

هل يغزو الروم المدينة؟

وكان مما رافق هذا الاتصال خبر مقلق سرى بين المسلمين لا

يدرى مصدره ، وهو أن قبائل غسان التي ترابط على تخوم الروم وتتحالف معهم تعد العدة للزحف على المدينة المنورة بقوات كثيفة ، مساندة بتأييد الروم وبطشهم .

وفي هذا الجو المشحون بالتوتر ، البالغ الحساسية ، تنتشر شائعة خطيرة داخل صفوف المسلمين ، تمسّ استقرارهم ، وتشغل بالهم وتتركهم في حيرة واضطراب مدة طويلة من الزمن تزيد على عشرة أيام ، بل وتمتد إلى عشرين يوماً ، ثم لا تكاد تنقشع غمتها ويزول كابوسها إلا في ختام تسع وعشرين ليلة . .

هل طلق رسول الله ﷺ نساءه؟!

لقد شاع بين المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق جميع نسائه التسع مرة واحدة ، وعلامة ذلك أنه هجر بيوته التي فيها نساؤه ، وأقام منعزلاً في غرفة علوية (تسمى مشربة) وأقام على بابه حاجباً فلا يصل إليه أحد إلا باستئذان . وحتى الذين يصلون إليه لحاجة طارئة أو أمر جلل من منهم يتأتى له أن يفاتح النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الشائعة الخاصة بتطليق نسائه؟ فقد كانت تغلب عليهم مهابة النبي صلى الله عليه وسلم ، فما يخاطب في أمر إذا لم يبتدئهم به .

ولم يبدد هذه الشائعة ويرح بال المسلمين ويطمئنهم إلا ابتسامة خاصة معبرة من محيا رسول الله صلى الله عليه وسلم البسام دائماً . . .

ولننقل لكم القصة بتمامها وكمالها كما سردها الإمام البخاري في صحيحه .

قال البخاري رحمه الله :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :« لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله لهما : ﴿**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾[1] فحججت معه . وفي رواية قال ابن عباس : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له . حتى خرج حاجاً فخرجت معه ، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له فعدل وعدلت معه بالإداوة (وعاء صغير من جلد يملأ ماء) فتبرز (قضى حاجته) حتى جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ . فقلت :

- يا أمير المؤمنين ! من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله عز وجل لهما : ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ**

(١) سورة التحريم/ ٤ .

﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فقال : واعجبي لك يا ابن عباس . عائشة وحفصة . ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال :

- إني كنت (أي ساكناً) وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ، وهي من عوالي المدينة . وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم وغيره ، وإذا نزل فعل مثله . وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم . فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار ، فصحت على امرأتي فراجعتني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت :

- ولمَ تنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (وإنما ضربت بهن مثلاً لأنهن قدوة لغيرهن) ليراجعنه ، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل . فأفزعني .

فقلت : خابت من فعلّت منهن . وفي رواية الكشميهني : «جاءت من فعلت منهم بعظيم» ، ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة (وهي ابنة عمر وزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقلت :

أي حفصة . أتغاضب إحداكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل؟؟

فقالت : نعم .

فقلت : خابت وخسرت . أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله فتهلكين . لا تستكثري على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه في شيء ، ولا تهجريه ، واسأليني ما بدا لك ، ولا يغرنّك أنْ كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . (يريد عائشة) .

وفي رواية أنه قال لابنته حفصة : تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم . يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها . يريد عائشة .

وقال في هذه الرواية : ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها (فهي بنت عم أمه) فكلمتها فقالت أم سلمة :

- عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء ، حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه . فأخذتني والله أخذاً . كسرتني عن بعض ما كنت أجد .

ثم تابع عمر قائلاً : وكنا نتحدث أن غسان تنعل النعال لغزونا (وأن ملكاً من ملوكها يريد أن يسير إلينا) فنزل صاحبي يوم نوبته . فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً .

وقال : أنائم هو . ففزعت فخرجت إليه ، وقال :

حدث أمر عظيم .

قلت : ما هو؟ أجاءت غسان .

قال : لا ، بل أعظم منه وأطول . طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه .

قال : قد خابت حفصة وخسرت . كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون .

فجمعت علي ثيابي ، فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم أي في مسجده . فدخل مشربة له فاعتزل (والمشربة غرفة يصعد إليها بدرج) فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي .

فقلت : ما يبكيك؟ أو لم أكن حذرتك . أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : لا أدري هو ذا في المشربة . فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم . فجلست معهم قليلاً .

قال عمر رضي الله عنه : ثم غلبني ما أجد ، فجئت المشربة التي هو فيها ، فقلت لغلام له أسود :

استأذن لعمر .

فدخل فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج فقال :

-ذكرتك له فصمت .

فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجد فجئت ، فذكر مثله

فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام ، فقلت : استأذن لعمر فذكر مثله . فلما وليت منصرفاً فإذا الغلام يدعوني . قال :

أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أطلقت نساءك يا رسول الله؟

فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش . قد أثر الرمال بجنبه متكىء على وسادة من أدم حشوها ليف . فسلمت عليه ، ثم قلت وأنا قائم :

طلقت نساءك؟؟ فرفع بصره إلي فقال :

لا ، ثم قلت وأنا قائم استأنس :

- يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم فذكره .

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم

ثم قلت : لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت : لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد عائشة .

فتبسم أخرى .

وفي الرواية الأخرى : فقصصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث فلما بلغت حديث أم سلمة (عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أزواجه) تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ماذا في بيت رسول الله ﷺ؟

يقول عمر رضي الله عنه : فجلست حين رأيته تبسم . ثم رفعت بصري في بيته (أي أجلته وتفحصت البيت) فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة (الأهب جمع إهاب وهو الجلد) . فقلت :

ادع الله فليوسع على أمتك ، فإن فارس والروم وُسّع عليهم وأُعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله .

وكان متكئاً : فقال : أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا .

فقلت : يا رسول الله ! استغفر لي .

سبب الحادثة وأصلها :

فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة ، وكان قد قال : (ما أنا بداخل شهراً) من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله وذلك في قوله تعالى مطلع سورة التحريم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ . . . ثم قال تعالى : ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ...﴾ إلى آخر الآيات في سورة التحريم .

الشهر تسع وعشرون ، والشهر ثلاثون :

قال عمر رضي الله عنه : فلما مضت تسع وعشرون دخل

على عائشة فبدأ بها . فقالت له عائشة :

- إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً ، وإنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عداً .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الشهر تسع وعشرون . وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين . . .»

وساق تمام الحديث ، وفيه تخيير نساء النبي صلى الله عليه وسلم بين البقاء في عصمته راضيات طائعات ، أو أن يطلق سراحهن فيرجعن إلى بيوت أهلهن يعشن كما يشأن . فاخترن جميعهن الله ورسوله والدار الآخرة . . . رضي الله عنهن جميعاً .

هكذا أوقفت ابتسامة النبي صلى الله عليه وسلم الشائعة المخيفة للأمة من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطليقه نساءه كما أشيع . . . وإننا لنلاحظ أن عمر رضي الله عنه إنما سرد ما سرد من الحديث بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتوصل إلى إدخال السرور على قلبه ، وبالتالي يتوصل إلى ابتسامته صلى الله عليه وسلم التي هي علامة الرضا والمحبة ، وشارة زوال الغضب والزعل ، كيف لا وعمر الخبير بنفوس الرجال يعلم علم اليقين موقع الابتسامة من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ابتسامات شتى ... في مناسبات عديدة

ـ ابتسامة خاصة لأبي هريرة :

أورد البخاري في باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم من الدنيا أن أبا هريرة كان يقول :

- والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبوبكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني ، وعرف ما في نفسي وما في وجهي ، ثم قال :

- يا أبا هر : قلت : لبيك يا رسول الله . قال : الحق ومضى .

فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال :

- من أين هذا اللبن؟

قالوا : أهداه لك فلان أو فلانة .

قال : أبا هر ! ! قلت : لبيك يا رسول الله .

قال : الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي .

قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لايأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيما . . فساءني ذلك فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن . ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال :

- يا أبا هر . . قلت : لبيك يا رسول الله . قال :

- خذ فأعطهم .

قال : فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح ، حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم ، فاخذ القدح فوضعه على يده فنظر لي فتبسم فقال :

- أبا هر . . قلت : لبيك يا رسول الله قال : بقيت أنا وأنت . . قلت : صدقت يارسول الله قال :

- اقعد فاشرب : فقعدت فشربت فقال : اشرب فشربت .

فما زال يقول : اشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا .

قال : فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة .

- ولخاتم النبوة ابتسامات :

ومما ورد في خاتم النبوة ابتسامة رافقت قصة عجيبة لصحابي جاء من بلد بعيد يبحث عن الدين الحق ، فأعطاه أحد الأحبار بعض العلامات التي يستدل بها على النبي الصادق . . إنه سلمان الفارسي ، الذي روي عنه قوله :

- «فبلغنا ونحن بالمدينة أن رجلا خرج بمكة يزعم أن الله أرسله ، فمكثنا ما شاء الله أن نمكث ، فهاجر إلينا وقدم علينا فقلت : والله لأجربنه ، فمضيت إلى السوق ، فاشتريت لحم جزور ثم طحنته ، فجعلت قصعة من ثريد ، فاحتملتها حتى أتيته بها على عاتقي حتى وضعتها بين يديه فقال :

- ما هذه . . أصدقة أم هدية؟

قلت : بل صدقة . فقال لأصحابه :

- كلوا بسم الله . وأمسك ولم يأكل ، فمكثت أياماً ، ثم اشتريت لحما أيضا بدرهم ، فأصنع مثلها فأحتملها حتى أتيته بها ، فوضعتها بين يديه .

فقال : ما هذه . .صدقة أم هدية؟

فقلت : بل هدية . فقال لأصحابه : كلوا بسم الله . وأكل معهم .

قلت : هذا - والله - يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فرأيت بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة ، فأسلمت .

فقلت له ذات يوم : يا رسول الله أي قوم النصارى؟

قال : لاخير فيهم ولا فيمن يحبهم .

- قلت في نفسي : أنا - والله - أحبهم .

قال : وذلك حين بعث السرايا وجرد السيف . فسرية تخرج وسرية تدخل والسيف يقطر . قلت : يحدّث بي الآن أني أحبهم ، فيبعث إلي فيضرب عنقي ، فقعدت في البيت فجاءني الرسول ذات يوم فقال :

- يا سلمان أجب رسول الله .

قلت : هذا - والله - الذي كنت أحذر .

قلت : نعم . اذهب حتى ألحقك .

قال : لا والله حتى تجيء ، وأنا أحدث نفسي أن لو ذهب فأفر .

فانطلق بي حتى انتهيت إليه فلما رآني تبسم وقال لي :

- يا سلمان أبشر فقد فرج الله عنك ، ثم تلا عليّ هؤلاء الآيات ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (القصص :٥٢) إلى قوله ﴿ **لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ رواه السيوطي في الدر المنثور .

وجاء في مسند أحمد رواية أخرى عن خاتم النبوة وابتسامته لرجل آخر غير سلمان . فعن سعيد بن أبي راشد مولى لآل معاوية قال :

- قدمت الشام فقيل لي في : هذه الكنيسة رسول قيصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فدخلنا الكنيسة فإذا أنا بشيخ كبير ، فقلت له :

- أنت رسول قيصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : نعم .

قال : إنه لما غزا تبوك كتب إلى قيصر كتابا وبعث به مع رجل

يقال له دحية بن خليفة ، فلما قرأ كتابه وضعه معه على سريره ، وبعث إلى بطاريقته ورؤوس أصحابه . فقال :

- إن هذا الرجل قد بعث إليكم رسولاً وكتب إليكم كتاباً يخيركم إحدى ثلاث : إما أن تتبعوه على دينه ، أو تقروا له بخراج يجري له عليكم ويقركم على هيئتكم في بلادكم أو تلقوا إليه بالحرب . قال فنخروا نخرة حتى خرج بعضهم من برانسهم وقالوا :

- لانتبعه على دينه وندع ديننا ودين آبائنا ، ولانقر له بخراج له علينا ، ولكن نلقي إليه الحرب .

فقال : قد كان ذلك ولكني قد كرهت أن أفتات دونكم بأمر .

قال عباد : فقلت لابن خثيم : أو ليس قد كان قاربوهم بالإسلام فيما بلغنا؟

قال : بلى لولا أنه رأى منهم .

قال : فقال : ابغوني رجلاً من العرب أكتب معه إليه جواب كتابه . قال فأتيت وأنا شاب فانطلق بي إليه فكتب جوابه وقال لي :

- مهما نسيت من شيء فاحفظ عني ثلاث خلال : انظر إذا هو قرأ كتابي هل يذكر الليل والنهار؟ وهل يذكر كتابه إلي؟ وانظر هل ترى في ظهره علما؟

قال : فأقبلت حتى أتيته وهو بتبوك في حلقة من أصحابه منتجين ، فسألت فأخبرت به فدفعت إليه الكتاب ، فدعا معاوية فقرأ عليه الكتاب ، فلما أتى على قوله : دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا جاء الليل فأين النهار .

قال فقال : إني قد كتبت إلى النجاشي فخرقه فخرقه الله مخرق الملك .

قال عباد فقلت لابن خثيم : أليس قد أسلم النجاشي ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلى أصحابه فصلى عليه .

قال : بلى ذاك فلان بن فلان وهذا فلان بن فلان . قد ذكرهم ابن خثيم جميعا ونسيتهما . وكتبتُ إلى كسرى كتابا فمزقه فمزقه الله تمزيق الملك ، وكتبت إلى قيصر كتابا فأجابني فيه فلم تزل الناس يخشون منهم بأسا ما كان في العيش خير . ثم قال لي .

- من أنت .

قلت : من تنوخ .

قال : يا أخا تنوخ هل لك في الإسلام؟

قلت : لا إني أقبلت من قبل قوم وأنا فيهم على دين ، ولست مستبدلا بدينهم حتى أرجع إليهم .

قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو تبسم . فلما قضيت حاجتي قمت فلما وليت دعاني فقال

يا أخا تنوخ هلم فامض للذي أمرت به . قال وكنت قد نسيت ، فاستدرت من وراء الحلقة وألقى بردة كانت عليه عن ظهره ، فرأيت غضروف كتفه مثل المحجم الضخم» .

- ابتسامة خاصة لشابين صغيرين :

وروى الحاكم في المستدرك عن هشام بن عروة ، عن أبيه :

«أن عبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهم بايعا النبي - صلى الله عليه وسلم - وهما ابنا سبع سنين . وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رآهما تبسم ، وبسط يده فبايعهما» .

وأخرى لصحابي خاف مشاركة غيره في غنيمته :

ومن ابتساماته الكثيرة صلى الله عليه وسلم ما رواه أبو داود عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال :

«دلّي جراب من شحم يوم خيبر . قال فأتيته فالتزمته . قال ثم

قلت :

لا أعطي من هذا أحدا اليوم شيئاً .

قال فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم إلي»

قال في عون المعبود (يبتسم إلي) : زاد أبو داوود الطيالسي في آخره «فقال هو لك» كذا في الفتح . والحديثان يدلان على إباحة الطعام في أرض العدو .

وابتسامة عند الغنى وكثرة المال :

- وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال : «سمعت الأنصار أن أبا عبيدة رضي الله عنه قدم بمال قبل البحرين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى البحرين ، فوافوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرضوا له ، فلما رآهم تبسم وقال :

- لعلكم سمعتم أن أبا عبيدة بن الجراح قد قدم بمال؟ .

قالوا : أجل يا رسول الله .

قال : أبشروا وأملوا خيراً ، فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن إذا صبّت عليكم الدنيا فتنافستموها كما تنافسها من كان قبلكم» . رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

ابتسامات نبوية ... لبعض الصحابيات

ـ ما أكرم النساء إلا كريم :

المرأة إنسان رقيق تغلب عليه العاطفة ، ويتميز باللطافة والشفافية . . . شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء بالقوارير : سريعة الكسر ، شفافة الجسم ، جميلة الشكل ، فقال لشاعر كان يحدو بالركب في السفر :

«ارفق يا أنجشة ويحك بالقوارير» رواه البخاري .

ولقيت المرأة عموماً في السيرة النبوية معاملة خاصة من حيث التكريم ، وإقامة الاعتبار والإنسانية ، فكان الإسلام لها أفقاً واسعاً ، فتح أمامها مجالات المشاركة في أنشطة الحياة كافة ، وألزمها بتحمل المسئولية الفردية والأسرية . . .

قال عليه الصلاة والسلام : (ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم) رواه ابن عساكر وصححه السيوطي .

والأمثلة على تكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة كثيرة وعديدة . وابتساماته صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابيات ـ وهو في مقام الأبوة الحاني للمسلمين جميعاً ـ من هذا القبيل المبارك .

ـ زوجها لا يقربها . . . كما زعمت !

جاء في (مسند أبي يعلى) عن جابر رضي الله عنه قال : «بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق إذ امرأة قد أخذت بعنان دابة وهو على حمار ، فقالت :

ـ يا رسول الله إن زوجي لا يقربني ، ففرق بيني وبينه .

ومر زوجها ، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :

ما لك ولها جاءت تشكو منك جفاء ، تشكو منك أنك لا تقربها .

قال : يا رسول الله والذي أكرمك إن عهدي بها لهذه الليلة .

وبكت المرأة فقالت : كذب ، فرق بيني وبينه ، فإنه من أبغض خلق الله إليّ .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذ برأسه ورأسها فجمع بينهما ، وقال :

اللهم أدنِ كل واحد من صاحبه .

قال جابر : فلبثنا ما شاء الله أن نلبث ، ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوق فإذا نحن بامرأة تحمل أدماً ، فلما رأته طرحت الأدم ، وأقبلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالت :

يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما خلق الله من بشر أحب إليّ منه إلا أنت ! ! »

ـ أنكرت على زوجها الصلاة دون وضوء فضربها :

أما الابتسامة الثانية فلصحابية أخرى . . . إنها أم رافع .

روى الطبراني في (المعجم الكبير) عن عائشة رضي الله عنها قالت : «جاءت سلمى امرأة أبي رافع ، تشكو زوجها أبا رافع فقالت :

ـ يا رسول الله يضربني .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ولها؟

فقال : إنها تؤذيني .

فقال لها : بم تؤذينه؟

فقالت : يا رسول الله إنه خرجت منه ريح وقام يصلي ، فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من خرج منه ريح فليعد الوضوء) .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا تضربها» .

ـ لا تغسل الميت بالماء البارد فتقتله ! !

والابتسامة الثالثة لأم قيس نقتطفها من سنن النسائي وأوردها ابن القيم في (عدة الصابرين) عن أبي الحسن مولى أم قيس بنت محصن ، عن أم قيس قالت :

توفي ابني فجزعت عليه ، فقلت للذي يغسله :

لا تغسل ابني بالماء البارد فتقتله ! ! .

فانطلق عكاشة بن محصن (أخوها) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقولها (لا تغسل ولدي بالماء البارد فتقتله) فتبسم ثم قال :

ـ ما قالت طال عمرها؟ فلا نعلم امرأة عُمِّرت ما عُمِّرت»

ـ أم طلحة امرأة جيدة :

أما أم طلحة - وهي مسلمة صادقة جعلت مهرها من أبي طلحة إسلامه- ودفعت بابنها أنس ليخدم النبي صلى الله عليه وسلم فخدمه حتى لحق بالرفيق الأعلى - فقد ضحك النبي صلى الله عليه وسلم لابنها الوليد وتبسم .

جاء في (الطبقات الكبرى) عن أنس بن مالك قال :

«ولدت أم سليم عبدالله بن أبي طلحة من آخر الليل ،

فقالت :

ـ لا تحدثوا به شيئاً حتى أستيقظ .

فلما أصبحت غسلته ثم بعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت :

ـ اذهب بأخيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجئته وهو قائم في إزار معه مسحاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ ما هذا يا أنس؟

قلت : يا رسول الله هذا أخي أرسلتني به أمي إليك .

قال : فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا بتمرة فمضغها ثم حنّكه بها فتلمظها الصبي ، أي حرك بها فمه متحسساً ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : حب الأنصار التمر» .

ـ إن اقترب مني أحد بعجت بطنه :

وأم سليم (وهي أم طلحة)هذه لها ابتسامة أخرى من النبي صلى الله عليه وسلم لشجاعتها ورباطة جأشها يوم حنين ، حينما اختل نظام الجيش ، وولّى كثير من الرجال الدبر ، فإنها ثبتت مع

رسول الله .

يقول صاحب (السيرة الحلبية) : وكانت أم سليم مع زوجها أبي طلحة رضي الله عنهما وهي حازمة وسطها ببرد لها ، وفي حزامها خنجر ، وكانت حاملاً بابنها عبدالله ، فقال لها زوجها أبو طلحة :

ـ ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟

قالت : إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به .

فقال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميصاء؟ فأعادت عليه القول ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك .

ـ ابتسامة لزينب ببشارة من السماء

وهناك ابتسامة أخرى لإحدى الصحابيات الجليلات ، عندما أمر الله سبحانه نبيه بالزواج منها لإبطال عادة التبني إبطالاً عملياً ، وذلك بعد أن كانت زوجةً لزيد بن حارثة ، الذي كان يدعى من قبل زيد بن محمد .

ذكر صاحب (السيرة الحلبية) عن زينب : «فلما انقضت عدتها أرسل النبي صلى الله عليه وسلم زيداً لها ، فقال له :

اذهب فاذكرها علي . فانطلق ، قال : فلما رأيتها عظمت في صدري ، فقلت : يا زينب أبشري ، أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك .

قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي أي أستخيره ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة إذ نزل عليه الوحي بأن الله زوجه زينب ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾[1] فسرّي عنه وهو يبتسم وهو يقول :

من يذهب إلى زينب فيبشرها أن الله زوجنيها من السماء» .

ـ ابتسامة لخادمة بسيطة :

وفي (طبقات المحدثين بأصبهان) لابن حبان عن شبيبة بنت الأسود قالت : حدثتني رومية قالت : كنت وصيفة لامرأة من أهل المدينة ، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة قالت مولاتي :

ـ يا رومية قومي على باب الدار ، فإذا مر هذا الرجل

(١) سورة الأحزاب/ ٣٧ .

فأعلميني . تعني النبي صلى الله عليه وسلم ، فقمت على باب الدار فإذا هو قد مر ومعه نفر من أصحابه ، فأخذت بطرف ردائه فتبسم في وجهي ، قالت شبيبة : أو أظنها (أي رومية) قالت : مسح يده على رأسي .

فقلت لمولاتي : هو ذا قد جاء الرجل . تعني النبي صلى الله عليه وسلم . فخرجت مولاتي ومن كان معها فعرض عليهن الإسلام فأسلموا .

ابتسامات عديدة... في بدر الكبرى

ـ بدر لقاء كبير وخطير

غزوة بدر الكبرى أول لقاء كبير وخطير بين المشركين والمسلمين عقب هجرتهم إلى المدينة المنورة .

ومعالم الخطورة في هذا اللقاء تتمثل في أنه أول تحد حربي كبير فوق أرض المعركة بين المسلمين ، الذين لم يسبق لهم من قبل أن التحموا في قتال منظم مع أي قوة مدربة ، وبين قريش التي تعد من أفضل القوى الحربية المدربة في جزيرة العرب من حيث العدد أو الكفاءة أو الموقع .

لقد كانت الاحتمالات السيئة في هزيمة المسلمين وانتصار العدو وانفراط عقد الجماعة المؤمنة واردة ومحتملة ومرجحة بالمقاييس المادية ، فلم لا يكون التخوف وحبس الأنفاس وتوقع الأسوأ؟ !

لذلك فقد لجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى تخيير أصحابه قليلي العدد والعتاد ، بين المواجهة أو الانسحاب حتى إذا تقرر لقاء العدو ألح في الدعاء على الله سبحانه لينصر العصبة القليلة المؤمنة ، كما عمد إلى تحريض أصحابه وحثهم على الصبر والبلاء الحسن .

وتمثل هذا الوضع المخوف بالنسبة للمسلمين في الآية الكريمة : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[١] .

ـ الابتسامات النبوية تثبت المؤمنين :

وكان من حكمة النبي صلى الله عليه وسلم وحنكته في ذلك الوقف العصيب أن تعددت ابتساماته الشريفة ، مبشرة بالنصر القريب ، مستبشرة بالتأييد الإلهي الأكيد ، مثبتة للمسلمين الصادقين ، فجاءت هذه الابتسامات برداً وسلاماً وبارقة أمل وعنصر تطمين . وكان بذلك صورة مشرقة مضيئة متفائلة لأصحابه وأتباعه في أحلك الظروف وأقسى المواقف .

ـ أشيروا عليّ أيها الناس :

قال ابن هشام في (السيرة) بعد أن ذكر مشاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بشأن لقاء قريش- :

فقام أبوبكر ثم قام عمر ، وكل منهما يؤكد اتباعه ونصرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يراه ، فأثنى عليهما ودعا لهما بخير ، ثم التفت ناحية الأنصار وكرر :

ـ «أشيروا عليّ أيها الناس .

---

(١) سورة آل عمران / ١٢٣ .

فقام سعد بن معاذ فقال : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟

قال : أجل .

قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصُبُر في الحرب ، صُدُق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

وقام المقداد فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾[1] ، ولكننا نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ما دامت منا عين تطرف ، فوالله الذي بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا إلى برك الغماد (بالحبشة) لجالدنا بالسيوف معك من دونه حتى نبلغه . وفي لفظ : نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك .

قال ابن مسعود : فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق لذلك ، وسُرَّ بذلك .

(١) سورة المائدة / ٢٤ .

وفي الكشاف : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال خيراً ودعا له بخير .

ـ أُذُنٌ بأذنٍ والرأس زيادة . . . وابتسامة من جبريل :

والابتسامة الثانية في غزوة بدر نقلت لنا ضمن قصة تتعلق بعبدالله بن مسعود رضي الله عنه الذي كان من أصغر الصحابة حجماً وأقصرهم قامة ، ولكنه كان من أعظمهم جهاداً وأرسخهم إيماناً .

قال الألوسي في تفسيره (روح المعاني) :

«روي أنه لما نزلت سورة الرحمن في مكة .قال صلى الله عليه وسلم : من يقرؤها على رؤساء قريش؟

فقام ابن مسعود وقال : أنا يا رسول الله ، فلم يأذن له عليه الصلاة والسلام لضعفه وصغر جثته ، حتى قالها ثلاثاً .

وفي كل مرة كان ابن مسعود يقول : أنا يا رسول الله . فأذن له صلى الله تعالى عليه وسلم .

فأتاهم وهم مجتمعون حول الكعبة فشرع في القراءة ، فقام أبوجهل فلطمه وشق أذنه وأدماه ، فرجع وعيناه تدمعان ، فنزل جبريل عليه السلام ضاحكاً ، فقال له صلى الله عليه وسلم في ذلك؟

فقال عليه السلام : ستعلم !

فلما كان يوم بدر قال عليه السلام : التمسوا أباجهل في القتلى ، فرآه ابن مسعود مصروعاً يخور فارتقى على صدره ففتح عينيه فعرفه .

فقال : لقد ارتقيت مرقاً صعباً يا رويعي الغنم .

فقال ابن مسعود : الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه . فعالج ابن مسعود قطع رأسه .

فقال اللعين : دونك فاقطعه بسيفي . فقطعه .

ولم يقدر على حمله فشق أذنه وجعل فيها خيطاً وجعل يجره حتى جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء جبريل عليه السلام يضحك ويقول :

ـ يا رسول الله أذن بأذن ، والرأس زيادة !»

ـ ابتسامة في الصلاة لميكائيل المحارب :

والابتسامة الثالثة في غزوة بدر ابتسامة فريدة قل نقل مثلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنها كانت في الصلاة ، مع أن الصلاة فيها شغل عن كل شيء .

ولكن الخوف الشديد في بدر من عدم تساوي الكفتين ، ثم نزول الملائكة مأمورة بالجهاد مع المسلمين ، وقيامها بذلك عملياً . . . كل ذلك استدعى ابتسامة اطمئنان وفرح وتبشير حتى ولو في الصلاة .

عن جابر رضي الله عنه قال :

«كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر إذ تبسم في صلاته ، فلما قضى قلنا :

يا رسول الله ، رأيناك تبسمت ! قال :

مر بي ميكائيل وعلى جناحه أثر الغبار وهو راجع من طلب القوم ، فضحك إلي فتبسّمت إليه» .

إنها ابتسامة نبوية في الصلاة . . . ولاشك أنها ليست ضحكاً ولا قهقة .

ـ أولئك الملأ من قريش . . .

أما الابتسامة الرابعة في بدر فقد كانت على وجه تعظيم الأمر وعدم تهوينه ، والسرور بما أعطى الله المؤمنين من النصر البالغ ، الذي لا ينبغي الاستهانة به ولو في المزاح والمداعبة .

قال ابن حبان في (الثقات) :

«ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل إلى المدينة قبل الأسارى بيوم (بعدما قسّم غنائم معركة بدر) ثم قدم بالأسارى اليوم الثاني ، فلما بلغوا الروحاء لقيهم المسلمون يهنئونهم بفتح الله عليهم ، فقال سلمة بن سلامة بن وقش :

ـ ما الذي تهنئون به؟ والله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعقلة ننحرها !!

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

- يا ابن أخي ، أولئك الملأ من قريش» .

هكذا كانت ابتسامة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفارقه حتى وهو في أشد المواقف وأخطرها . . .

ابتسامات نبوية... وراء الخندق الرهيب

ـ مقدمة :

من أشد الأيام وأشقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته : يوم الأحزاب أو يوم الخندق .

خرجت قريش بقَضّها وقضيضها ، وقد حشدت جميع قواتها ورجالها ، فلم تدخر شيئاً من مال أو سلاح ، بل واستنصرت واستعانت بالقبائل التي تحالفها من غطفان والأحابيش ، فسارت معها جموع منها وانضوت تحت لوائها ، حتى بلغ عدد جيش المشركين عشرة آلاف لم تر العرب لها من قبل مثيلاً . وقد عقدت قريش وحلفاؤها العزم على استئصال شأفة المسلمين وعدم الرجوع قبل ذلك مهما كلفهم من ثمن .

لقد قرروا الخلاص من رسول الله ! .

وكان أفضل الحلول أمام المسلمين لمواجهة هذا الجيش الكبير التحصنُ في المدينة المنورة وراء خندق يمنع دخول قوات المشركين ، أو يعرقل دخولها ويعيقه ، فيما يقف المسلمون كتائب جاهزة خلف الخندق للدفاع عن المدينة ، وللاشتباك مع القوات الغازية إذا ما اجتازت الخندق بشكل أو بآخر .

ـ وبلغت القلوب الحناجر حينما نقض اليهود الميثاق :

ولم يكن حال المسلمين حال اطمئنان واستقرار ، بل كان حال اضطراب واضطرار ، فقد أدركهم التعب الشديد وهم يحفرون الخندق ، ولم تكن لديهم العدة والعتاد اللازمين المكافئين لقريش .

واعتمد المسلمون خطتهم لحماية المدينة على فرضية أن اليهود حلفاءَهم في المدينة لن يسمحوا لقريش بدخولها من جهة منازلهم وحصونهم ، فلم يحفروا خندقاً في تلك الجهة ، فإذا باليهود حين جد الجد ، وأحاط المشركون بالمدينة ، ينقضون العهد ويتنكرون للمسلمين ، ويحالفون قريشاً وغطفان ، ويظهرون حقدهم وتآمرهم .

وزاد الطين بلة أن المنافقين انضموا في مواقفهم وكلامهم وتخذيلهم إلى صفوف الأعداء ، فكانوا يشيعون القالات ويرجفون الأراجيف . . .

وكانت النتيجة أن أصبح موقف المسلمين صعباً . . . فها هم أعداؤهم يرمقونهم بنظراتهم ، ويتربصون بهم الدوائر وينوون لهم الشر ، ويحيطون بهم من كل جانب . . .

قال الله تعالى مصوراً شدة الخوف وهلع النفوس : ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[1] .

ـ ابتسامات النبي (بوارق أمل) :

في وسط هذا الخوف الشديد ، الممزوج بالبرد الشديد ، المضاف إليه الظلمة الشديدة ، تبدو ابتسامات النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف شتى يوم الخندق ، وكأنها بوارق الأمل وأشعة النور التي تبعث الهدوء وتزرع الثقة وتهدئ الروع .

ـ الابتسامة الأولى حين حفر الخندق :

ومنذ بداية العمل في حفر الخندق برزت ابتسامته صلى الله عليه وسلم عاملاً قوياً مهدئاً ومثبتاً لأصحابه ومن حوله .

أخرج ابن سعد وابن جرير والبيهقي وأبونعيم عن عمر بن عوف المزني قال :

«خرجت لنا من الخندق صخرة بيضاء ، فكسرت حديدنا

(١) سورة الأحزاب/ ٩ - ١١

وشقّت علينا ، فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتي المدينة ، حتى لكأن مصباحاً في جوف ليلٍ مظلمٍ ، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ضربها الثانية فصدعها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها فكبر ، ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها فكبر .

فقلنا : يا رسول الله قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج ، ورأيناك تكبر !

فقال : أضاء لي في الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضاء لي في الثانية قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا بالنصر» .

وفي رواية أبي نعيم : «فصادف حجراً فضحك ، فقال : لِمَ ضحكت يا رسول الله؟

قال : ضحكت من ناس يؤتى بهم من قبل المشرق في الكبول يساقون إلى الجنة وهم كارهون»

ـ والثانية حين رئيت أول طلعة للنخل :

وجاء في (مصنف ابن أبي شيبة) عن هشام بن عروة عن أبيه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صافّ المشركين يوم الخندق ، قال : وكان يوماً شديداً لم يلق المسلمون مثله قط . ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأبوبكر معه جالس ، وذلك زمان طلع النخل ، قال : وكانوا يفرحون به إذا رأوه فرحاً شديداً ، لأن عيشهم فيه ، قال : فرفع أبوبكر رأسه فبَصُرَ بطَلْعَة ، وكانت أول طلعة رئيت ، فقال : هكذا بيده :

طلعة يا رسول الله من الفرح ، قال فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم وقال :

ـ اللهم لا تنزع منا صالح ما أعطيتنا ، أو صالحاً أعطيتنا»

ـ والثالثة لسعد بن أبي وقاص حينما رمى مشركاً :

ومن ابتساماته صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ما جاء في (الشمائل المحمدية) عن سعد بن أبي وقاص . قال :

ـ «لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك يوم الخندق حتى بدت نواجذه ، قال : قلت :

كيف كان ضحكه؟ قال :

كان رجل (من المشركين) معه ترس ، وكان سعد رامياً ، وكان الرجل يقول : كذا وكذا بالترس يغطي وجهه ، فنزع له سعد بسهم فلما رفع رأسه رماه فلم يخطئ هذه منه يعني جبهته ، وانقلب الرجل وشال برجله ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه .

قلت : من أي شيء ضحك؟

قال : من فعله بالرجل»

وقد وردت القصة هذه في (مسائل الإمام أحمد) عن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع له أبويه .

قال : «كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد : ارمِ فداك أبي وأمي .

فنزعت بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه ، فوقع فانكشفت عورته ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه»

ـ وأخرى عند استطلاع أمر الأحزاب :

ومن ابتساماته صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق ما أورده صاحب (السيرة الحلبية) عندما ندب النبي صلى الله عليه

وسلم أصحابه فقال :

«ألا رجل يأتيني بأخبار القوم أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما أجابه أحد من شدة البرد والخوف ، حتى إذا دعا حذيفة بن اليمان بالاسم لم يكن له بد من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال له :

ـ إنه كائن في القوم خبر فائتني به .

فقلت : والذي بعثك بالحق ما قمت إلا حياء منك من البرد .

فقال : لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلي .

فقلت : والله ما بي أن أقتل ولكن أخشى أن أوسر .

فقال : أنك لن تؤسر ، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته . فمضيت فكأني أمشي في حمام .

فلما وليت دعاني ، فقال : لا تحدثن شيئاً ولا ترم بسهم ولا حجر ، ولا تضربن بسيف حتى تأتيني . فجئت إليهم ودخلت في غمارهم . . . »

ثم يصف حذيفة كيف أن المشركين الذين اضطربت صفوفهم خافوا دخول الجواسيس بينهم ، وأن أبا سفيان حرضهم على

الرحيل لعدم الثقة في بني قريظة ، ولباهظ النفقات التي تحملوها في الحصار دون جدوى ، ولاشتداد الريح والبرد عليهم وهلعهم من أصوات التكبير المترددة في أطراف معسكرهم .

يقول حذيفة : «فدخلت العسكر فإذا الناس في عسكرهم يقولون : الرحيل الرحيل لا مقام لكم ، والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة . . .

يقول : ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائماً يصلي ، فأخبرته الخبر فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل ، وعاودني البرد فجعلت أقرقف ، فأومأ إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه ، فسدل عليّ من فضل شملته فنمت ، ولم أزل نائماً حتى الصبح ، فقال لي :

قم يا نَوْمان»

ـ ابتسامة للطعام القليل يكفي عدداً كبيراً :

ومن الابتسامات التي يغلب على الظن أنها كانت يوم الأحزاب ما جاء في (المعجم الكبير) للطبراني عن أنس بن مالك «أن أمه أم سليم عمدت إلى مدين من شعير فهشته فجعلت منه خطيفة ، وعصرت عكة كانت عندها ، ثم بعثتني إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأتيته وهو في أصحابه فدعوته .

فقال : ومن معي .

فجئت أمي فقلت : إنه يقول : ومن معي .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فخرج إليه أبوطلحة فقال : يا رسول الله ، إنما هو شيء صنعته أم سليم لك .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل فجيء به فقال :

ـ أدخل عليّ عشرة ، فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : أدخل عشرة حتى عد أربعين ، ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام ، فجعلت أنظر هل نقص منها شيء ! !»

هكذا كانت الابتسامة النبوية حاضرة بقوة في أحلك الظروف وأقساها .

ابتسامات جميلة... يوم الفتح الأكبر

ـ يوم الفتح يوم جميل :

هل هناك في السيرة النبوية أجمل من يوم فتح مكة ودخول المسلمين إليها خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ظافرين؟؟

لقد كان يوماً مشهوداً ونصراً منتظراً وحداً فاصلاً بين الكفر والإيمان . . . وصدق الله سبحانه ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ**﴾[1] ، وصدق الله في وعده من قبل ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾[2] .

إن مآسي السنين الطويلة المتمثلة في الإخراج من مكة ، وأذى المسلمين قبل الهجرة والحرب بعدها ، والعناد والصد عن سبيل الله ، واحتباس المستضعفين والعدوان عليهم وقتل الأبرياء ، والتكذيب والتمسك بالباطل ، كل ذلك تجمع أمام النواظر غداة محاصرة المسلمين لمكة المكرمة ، ليحثهم على دخولها بعزم وإصرار ، فلما دخلوها ودخلت الفرحة قلوبهم وزَهَق الباطل أمام جحافل الحق انكمشت الحسرة واللوعة في النفوس ، لتتحول إلى

(١) سورة الفتح/ ٢٧ .
(٢) سورة القصص/ ٨٥ .

فرحة غامرة وسعادة حقيقية وحبور عام ، تقصر دونه جميع آيات الشكر و الحمد التي يستطيعها البشر . ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[1] .

ومن الطبيعي في هذا اليوم المشهود المليء بالفرحة أن تكثر ابتسامات النبي صلى الله عليه وسلم البسام دائماً .

ـ ابتسامة نبوية ساعة دخول مكة :

ومنذ الساعات الأولى لتوالي جنود الله في دخول مكة ، ولّما أمر النبي صلى الله عليه وسلم جيشه بالمرور في شوارع مكة بكامل عتاده وسلاحه ، ثم التجمع حول بيت الله الحرام في ساحة الكعبة المشرفة ، علمت قريش أن أمرها قد انتهى إلى غير رجعة ، فألقت زمامها واستكانت داخل البيوت خائفة وجلة ، لا تكاد تجد لها أملاً في العفو أو مدخلاً للترجي أو سبباً للشفاعة . . .

ولم يجرؤ على الاقتراب من خيل المسلمين إلا بعض النسوة العزل اللواتي أمسكن بأطراف خمرهن ، فلطمن بهن الخيل المطهمة غيظاً وكمداً ، دون أن يأبه لهن أحد ، فهن لايستطعن أكثر من ذلك . . . أو أنهن اقتربن من الخيل ليمسحن عنها الغبار

(١) سورة النصر/ ١ـ٤ .

ويتوددن إلى أصحابها . وذلك غاية عجز قريش وضعفها . . . الأمر الذي ابتسم له النبي صلى الله عليه وسلم فرحاً بتحقق موعود النصر من الله سبحانه . . .

قال ابن هشام : بلغني عن الزهري أنه قال : «لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل تبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه»

وفي (المستدرك) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر ، فتبسم إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال : يا أبا بكر كيف قال حسان بن ثابت؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه :

عدمت ثنيتي إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداءُ
ينازعن الأعنة مسرعات
يلطمهن بالخُمُر النساءُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادخلوها من حيث قال حسان» .

ـ وابتسامة تكشف محاولة لاغتيال رسول الله ﷺ

وما كادت جموع المسلمين ورجّالتها يلتئم شملها حول الكعبة المشرفة ، فتصبح كالموج المتلاطم يزخر بها المسجد الحرام ، حتى تحركت تطوف بالبيت الحرام تعظيماً له وشكراً لله ، والنبي صلى الله عليه وسلم وسط هذه الجموع الحاشدة يطوف معها . . . ولكن رجلاً من فتّاك قريش وشياطينها اندس بين صفوف المسلمين متظاهراً بالطواف ، مستتراً بالجموع ، مخفياً تحت طيات ثيابه خنجراً مسموماً ، ثم أخذ يدافع ويزاحم حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه دون أن يثير ريبة أحد . إنه فضالة بن عمير .

قال ابن هشام في (السيرة النبوية) : «وأراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثي قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة؟

قال : نعم فضالة يا رسول الله .

قال : ماذا كنت تحدث نفسك؟

فقال : لا شيء ، كنت أذكر الله . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول :

ـ والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه» .

قال فضالة : فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هلم إلى الحديث ، فقلت : لا . وانبعث فضالة يقول :

قالتْ هلمَّ إلى الحديثِ فقلت لا
يأبى عليك اللهُ والإسلامُ
لو ما رأيتِ محمداً وقبيلَه
بالفتحِ يوم تكسّر الأصنامُ
لرأيتِ دينَ الله أضحى بيناً
والكفرَ يغشى وجهه الإظلامُ

ـ وابتسامة للحارث بن هشام :

وعلى الرغم من أن النبي صلى الله عليه وسلم أمّن أهل مكة كافة ، إلا أنه أهدر دم بعض الذين سبقت منهم جرائم عظمى

بحق الإسلام ، ومع ذلك فقد نجا كثير منهم ببشر النبي صلى الله عليه وسلم وسماحة نفسه وطلاقة وجهه ، في يوم الفتح الذي ظنه البعض يوم الانتقام .

قال في (السيرة الحلبية) عن الحارث بن هشام . قال :

- «لما أجارتني أم هانئ رضي الله عنها ، وهي ابنة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارها ، فصار لا أحد يتعرض لي ، وكنت أخشى عمر بن الخطاب . فمرّ علي وأنا جالس فلم يتعرض لي . وكنت أستحيي أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر برؤيته إياي في كل موطن مع المشركين . فلقيته وهو داخل المسجد ، فلقيني بالبشر فوقف حتى جئته ، فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق ، فقال :

الحمد لله الذي هداك ، ما كان مثلك يجهل الإسلام» .

ـ أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئاً!

والابتسامة الرابعة التي نرصدها يوم الفتح الكبير كانت في معرض انكشاف أمر بعض الطلقاء ، الذين نعموا بعفو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الإيمان لم يكن قد تمكن من قلوبهم بعد .

جاء في (السيرة الحلبية) «أنه صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح الكعبة ومعه بلال رضي الله عنه ، فأمره أن يؤذن للظهر على ظهر الكعبة ، وأبو سفيان وخالد بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة .

فقال خالد بن أسيد : لقد أكرم الله أسيداً (أباه) أن لا يكون يسمع هذا العبد فيسمع منه ما يغيظه .

فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته . أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً . (وفي رواية) : هذا والله الحدث العظيم أن يصبح عبد بني جمح ينهق على بيته .

فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء ! !

فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم :

لقد علمت الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم .

فقال : أما أنت يا فلان فقد قلت كذا ، وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا ، فقال أبو سفيان : وأما أنا يا رسول الله فما قلت شيئاً .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقالوا : نشهد أنك رسول الله . والله ما اطلع على هذا أحد

معنا فنقول : أخبرك» .

ـ هند بنت عتبة وابتسامة عتب :

وتبقى الابتسامة الخامسة يوم الفتح لامرأة من نساء قريش ذات شأن كبير وسوابق مهمة .

قال أهل السيرة : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال يوم الفتح بايع النساء ، وفيهن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان رضي الله عنه متنقبة متنكرة خوفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن :

ـ بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً ، ولا تسرقن ، ولا تزنين ، ولا تقتلن أولادكن ، ولا تلحقن بأزواجكن غير أولادهم ، ولا تقعدن مع الرجال في خلاء ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصين في معروف .

وجاء عند الترمذي في السنن أن بعض النسوة قالت : ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه؟ قال : لا تصحن ولا تنحن ولا تخمشن وجهاً ولا تنشرن شعراً .

فقالت هند : إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال .

(وجاء في رواية) أن هنداً قالت : لما قال صلى الله عليه وسلم : ولا تسرقن . والله إني كنت أصيب من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة ، وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً أم لا . فقال أبو سفيان وكان حاضراً : أما ما أصبت فيما مضى فأنت في حل عفا الله عنك . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها .

فقال : وإنك لهند بنت عتبة؟

قالت : نعم ، فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله . . .

وكذلك جاء عند أبي يعلى في مسنده أنّ هنداً هذه قالت : لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولا تزنين . قالت : أوتَزني الحرة يا رسول الله؟ فلما قال : ولا تقتلن أولادكن . قالت : ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً !!

وفي لفظ : هل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر !!

وفي لفظ : أنت قتلت آباءهم يوم بدر وتوصينا بأولادهم !!

فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى . وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

إنها ابتسامات حلوة كللت جبين يوم الفتح الأكبر .

معجزات الاستسقاء ... وابتسامات نبوية

الابتسامات عند كشف الكربات

هذه ابتسامة نبوية حلوة أطلّت من بين ثنايا ثغره البسام دائماً صلوات ربي وسلامه عليه ! .

لقد أصاب الناس جَهْد وبلاء ، وقحط وشدة ، وأمسكت السماء فلم تمطر ، وأمحلت الأرض فلم تنبت ، واغبرّ الأفق حتى كاد أن يظلم ، وأدرك الناس ضنك وإملاق ، فجاع الصغير وبكى ، وهزلت الأمهات وتحيرن ، وهام الرجال على وجوههم في كل وجه . . . أما البهائم العجماوات فهي التي تموت تباعاً في صمت وسكون .

أين يذهب البشر في مواجهة هذه البلية الكارثة؟ ولمن يشتكون ويلجأون .

لقد فزعوا إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأقبلوا نحوه يجأرون بالشكوى ، وهم يعلمون أنه بشر مثلهم . . . لكنه رسول الله ، ودعاؤه مستجاب ، وصلته بالله دائمة ، وأمره عند الله عظيم . . . فليسألوه الدعاء لهم ، واستفتاح أبواب الخير لأهاليهم ، والاستسقاء بمجاديح القبول عند الله .

قحط وشدة . . . واستسقاء وفرج

روى البيهقي وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال : «جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

- يا رسول الله . والله لقد أتيناك وما لنا بعير يئط ، ولا صبي يصيح (أي من شدة الجهد والجوع) ثم أنشد

أتيناك والعذرا يدمي لبانها (وفي رواية)

أتيناك والعـذرا تدمي لثـاتهـا . .

وقد شغلت أم الصبي عن الطفل . .

وألقى بكفيه الصبي استكانة . .

من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يحلي

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا . .

سوى الحنظل العامي والعلهزِ الفشلِ

وليس لنا إلا إليك فرارنا . .

وأين فرار الناس إلا إلى الرسل .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد

المنبر ، ثم رفع يده إلى السماء فقال :

- اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً (من المراعة وهي الخصب) غدقاً طبقاً ، عَجلاً غير رائث (متأخر) نافعاً غير ضار ، تملأ به الضرع ، وتنبت به الزرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها وكذلك يخرجون .

يقول أنس : فوالله ما مد (أو رد) يده إلى نحره حتى ألقت السماء بأردافها ، أو التقت السماء بأرواقها . وجاء أهل الوطابة (أهل البادية) يضجون : يا رسول الله الغرقَ الغرقَ . فرفع يديه إلى السماء وقال :

- اللهم حوالينا ولا علينا . فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق به نحو الإكليل . فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ، ثم قال :

لله در أبي طالب لو كان حياً قرت عيناه . من ينشدنا قوله؟ فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال :

يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه

ثمال اليتامى عصمةٌ للأراملِ

يلوذُ به الهـــلاكُ من آلِ هاشمٍ

فـهم عنده في نعـمـةٍ وفـواضلِ

كـذبتم وبيت الله نبـزي محـمـداً

ولما نـقـــــاتلْ دونـه وننـاضلِ

ونسلمــه حـتى نصـرّع حـوله

ونذهل عن أبنائنا والحـــلائلِ

فلمـا انتهى علي رضي الله عنه من ذلك قام رجل من كنانة فقال :

لك الحـمـدُ ، والحـمـدُ ممن شَكَرْ

ســـقـــينا بوجـــه النبي المطرْ

دعـــا الله خـــالقَـــه دعـــوةً

إليـــه ، وأشـخص منه البـصـرْ

فـلـم يـك إلا كـكـف الـرداء

أو اســـرعَ حـــتى رأينا الدررْ

دفـاق العـزالي جم البـعـاق

أغـــاث به الله عليـــا مـضـــر

وكـــان كـــمـــا قـــال عـــمـــه

أبـو طـالـب أبـيـضُ ذو غـــــــرْ

به اللهُ أسـقـاك صـوبَ الغـمـام

وهـذا العَـــيـــان لذاك الخـــبـــرْ

فـــــمـن يشكر الله يلق المزيد

ومن يكفـــر اللهَ يلق الغـــيَـــرْ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن يك شاعر يحسن فقد أحسنت؟ ! . »

وقد رويت قصة الاستسقاء بوجوه عدة من طرق عديدة ، لكنها كانت تشير دائماً إلى الابتسامة النبوية الجميلة .

ليست مرة واحدة . . . بل مرات عديدة

قال ابن الجوزي في (الحدائق)

وظاهر الأحاديث أن الاستسقاء تعدد ، ففي بعضها أنه وقع وهو في خطبة الجمعة ، وفي بعضها أنه صعد المنبر حين شُكي إليه الخطب ودعا ، وفي بعضها أنه خرج إلى المصلى بعد أن وعد الناس يوماً يخرج فيه ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر .

ومن تلك الروايات : «لما جاء صلى الله عليه وسلم المسلمون وقالوا : يا رسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسْنت الناسُ فاستسق لنا ربك ، فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتى المصلى ، فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة ، وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية ، فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط إلى الخصب ، ثم جثى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ورفع يديه وكبّر تكبيرة ثم قال :

اللهم اسقنا وأغثنا غيثاً مغيثاً رحيماً واسعاً وجداً طبقاً مغدقاً عاماً هنيئاً مريئاً مريعاً مرتعاً وابلاً سائلاً مسيلاً مجللاً دائماً داراً نافعاً غير ضار عاجلاً غير وان ، تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر منا والباد ، اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكنها . اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهوراً تحيي به بلدة ميتاً واسعة مما خلقت أنعاماً وأناسي كثيراً . . .

فما برحوا حتى أقبل قزع من السحاب ، فالتأم بعضه إلى بعض ، ثم أمطرت سبعة أيام لا تقلع عن المدينة ، فأتاه صلى الله

عليه وسلم المسلمون فقالوا :

- قد غرقت الأرض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفها عنا .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجباً لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا . اللهم على رؤوس الظراب ومنبت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام . فتقشعت عن المدينة ، ثم قال صلى الله عليه وسلم :

- لله در أبي طالب لو كان حياً قرت عينه ، من الذي ينشدنا قوله . . . إلى آخره» .

وهذه النجدة النبوية للعطاش الجياع ليست الوحيدة الثابتة عنه ، بل تكررت أكثر من مرة ، لا في المدينة نفسها فقط بل وفي أماكن أخرى ومناسبات مختلفة .

جاء في صحيح الإمام مسلم عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فأخذنا جهد ، حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا (الخيل والإبل) فأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم فجمعنا من أزوادنا ، فبسطنا له نطعاً ، فاجتمع زاد القوم على النطع (جلد) فكان كربضة العنز (أي

كقدر العنز وهي رابضة) ، وكنا أربع عشرة مئة (١٤٠٠) .

وفي رواية : أنه استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحر الظهر فقال عمر بن الخطاب :

لا تفعل يا رسول الله ، فإن الناس إن يكن فيهم بقية ظهر أمثل ، كيف بنا إذا لاقينا العدو غداً جياعاً ورجالاً؟ . أي ثم قال : ولكن إن رأيت أن تدعو الناس إلى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو فيها بالبركة فإن الله سيبلغها بدعوتك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا .

ثم قال : من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم . ثم قال قربوا أوعيتكم ، فأخذوا ما شاء الله أي وحشوا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقي مثله . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال :

- أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، والله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما إلا حجب من النار .

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه :

- هل من وضوء (وهو ما يتوضأ به) فجاء رجل بإدواة وهي الركوة فيها نطفة من ماء (أي قليل) فأفرغها في قدحٍ ووضع صلى

الله عليه وسلم راحته الشريفة في ذلك الماء . قال الراوي : فتوضأنا كلنا أي الأربع عشرة مائة ندغفقه دغفقة (أي نصبه صباً شديداً) ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا : هل من طهور؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرغ الوضوء» .

ويتابع صاحب السيرة الحلبية قوله : وإلى تكثير الطعام والماء أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله في وصف راحته الشريفة :

أحيت المُرْملين من موت جهد
أعوزَ القومَ فيه زادٌ وماءُ

وقال الإمام السبكي في تائيته :

وعندي يمين لا يمين بأن في
يمينك وكْفاً حيثما السحبُ ضنت

وعند البخاري رحمه الله صورة مماثلة لما روي عن استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه العطاش . فعن أنس رضي الله عنه قال :

«أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال :

- يارسول الله هلكت الكراع . هلكت الشاء فادع الله يسقينا . فمد يديه ودعا قال أنس : وإن السماء لزجاجة (أي صافية صحواً) فهاجت ريح فأنشأت سحاباً ثم اجتمع ، ثم أرسلت السماء عزاليها ، فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا فلم نزل نمطر إلى الجمعة الأخرى ، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال :

يا رسول الله تهدمت البيوت فادع الله يحبسه . فتبسم ثم قال : حوالينا ولا علينا . يقول أنس : فنظرت إلى السحاب تصدع حول المدينة كأنه إكليل . . .»

نعم . إنها ابتسامات ترافق معجزات . . . ليس لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم مثليها أبدا . . .

آيات قرآنية... وابتسامات نبوية

القرآن الكريم كتاب الله تعالى ووحيه إلى رسوله الكريم . هو الذكر المحفوظ ، واللفظ المعجز ، والنبأ العجب . . ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[١] .

ولقد نزل القرآن الكريم منجماً مفرقاً ، واستمر تنزله ثلاثاً وعشرين عاماً بين مكة والمدينة ، وذلك بحسب الحاجة والمناسبة والحكمة الآلهية .

والذي يهمنا هنا أن نسرد بعض الآيات أو السور القرآنية التي رافق نزولَها تبسمُ النبي صلى الله عليه وسلم فكان جلال القرآن وعظمته ممزوجة بالصورة المشرقة البسامة لمحيا المصطفى صلى الله عليه وسلم . . . تلك الصورة الحلوة التي لم تفارقه حتى وهو يتلقى الوحي ويستقبل نبأ السماء .

ـ ابتسامة مع سورة الكوثر :

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ غفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً .

(١) سورة الشعراء / ١٩٣-١٩٥ .

فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله؟

قال : أُنزلت علي آنفاً سورة . فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ ثم قال :

- أتدرون ما الكوثر؟

فقلنا : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم . فيختلج العبد منهم فأقول : رب إنه من أمتي . فيقول : ما تدري ما أحدث بعدك» .

ـ وابتسامة أخرى مع سورة الانشراح :

وذكر ابن كثير عن الحسن قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول : «لن يغلب عسر يسرين» .

وفي رواية : «أبشروا ، أتاكم اليسر ، لن يغلب عسر يسرين مرتين ثم قرأ قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1] .

---

(١) سورة الانشراح/ ٥ ـ ٦ .

وفي (الدر المنثور) : أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال :

«بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ثلاثمائة أو يزيدون علينا أبو عبيدة بن الجراح ليس معنا من الحمولة إلا ما نركب ، فزودنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من تمر فقال بعضنا لبعض :

- قد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تريدون ، وقد علمتم ما معكم من الزاد ، فلو رجعتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألتموه أن يزودكم .. فرجعنا إليه .

فقال : إني عرفت الذي جئتم له ، ولو كان عندي غير الذي زودتكم لزودتكموه . فانصرفنا ونزلت ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى بعضنا فدعاه فقال :

«أبشروا فإن الله قد أوحى إلي ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ ولن يغلب عسر يسرين» .

وأخرج البزار والطبراني في (الأوسط) والبيهقي في (الشعب) عن أنس بن مالك قال : «كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم جالساً وحياله جُحْرٌ فقال :

- لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه . فأنزل الله ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ .

ـ وابتسامة ثالثة مع آية من سورة التوبة

وأورد السيوطي في (لباب النقول) سبب نزول قوله تعالى : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[1] قال : أخرج أبو الشيخ وابن منده في (الصحابة) عن جابر قال :

- «كان ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك ستة : أبو لبابة وأوس بن خزام وثعلبة بن وديعة وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية . فجاء أبو لبابة وأوس وثعلبة فربطوا أنفسهم بالسواري (أعمدة المسجد النبوي) وجاءوا بأموالهم فقالوا :

يا رسول الله خذ هذا الذي حبسنا عنك .

فقال : لا أحلُّهم حتى يكون قتال . قال : فنزل القرآن ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ .

(١) سورة التوبة/ ١٠٢ .

ثم نقل عن ابن مردويه عن أم سلمة قالت : إن توبة أبي لبابة نزلت في بيتي ، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك في السحر .

فقلت : ما يضحكك يا رسول الله؟

قال : تيب على أبي لبابة .

فقلت : أوذنه بذلك؟

فقال : ما شئت .

فقمت على باب الحجرة وذلك قبل أن يضرب الحجاب فقلت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك .

فثار الناس ليطلقوه .

فقال : حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون هو الذي يطلقني .

فلما خرج إلى الصبح أطلقه ، فنزلت : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ...﴾ الآية» .

ـ ولآية الكرسي ابتسامة! . . .

وجاء في (الاتقان) للسيوطي قال : أخرج ابن مردويه عن ابن

عباس رضي الله عنهما قال :

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ آية الكرسي ضحك . وقال :

- إنها من كنز الرحمن تحت العرش» .

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ البقرة :٢٥٥ .

- ولا تزر وازرة وزر أخرى . . .وابتسامة :

وأورد أبو داود في سننه عن أبي رمثة قال : «انطلقت مع أبي نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي :

- ابنك هذا؟

قال : إي ورب الكعبة .

قال : حقاً؟

قال : أشهد به .

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً من ثبت شبهي في أبي ومن حلف أبي علي .

ثم قال : أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه . وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1]» .

ـ ابتسامة الفرح في ختام حادثة الإفك :

ومن الآيات القرآنية التي رافقتها ابتسامة من النبي صلى الله عليه وسلم . ما أورده البخاري في قصة عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم وما نزل في براءتها من الآيات الكريمة .

قالت عائشة : «لكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى ، ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه . فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه . قالت : فلما سرّي عن

(١) سورة الأنعام/ ١٦٤ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم سُرّي عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : يا عائشة أما فقد برأك الله . . . وأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ...﴾[1] العشر الآيات كلها» .

ـ ابتسامة مع الحروف في أوائل السور :

ونقل البيضاوي في تفسير قوله تعالى (آلم) من سورة البقرة . وهذه مع مثيلاتها من الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور في كتاب الله مما اختلف المفسرون في معناها . فنقل البيضاوي من جملة ما نقل أن أبا العالية تمسك بحساب الجمل فيها ، لما روي «أنه صلى الله عليه وسلم لما أتاه اليهود تلا عليهم (آلم) البقرة فحسبوه وقالوا :

ـ كيف ندخل في دين مدته إحدى وسبعون سنة؟

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : فهل غيره .

فقال : (المص) و(الر) و(المر) .

فقالوا : خلطت علينا فلا ندري بأيها نأخذ» رواه ابن المنذر عن ابن جريج .

---

(١) سورة النور/ ١١ .

ـ ابتسامة في سورة الضحى :

ومع الابتسامات النبوية والفرح الغامر المرافق لنزول بعض الآيات ، ورد تكبير أيضاً وذلك غاية ما يمثل البشاشة والسرور .

قال ابن كثير في معرض ذكر التكبير في ختام السور الأخيرة من القرآن الكريم : وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى «أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتر تلك المدة (وهي في أول المبعث) وجاءه الملك فأوحى إليه ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[1] بتمامها كبرّ صلى الله عليه وسلم فرحاً وسروراً» .

ـ ابتسامة قبل زواج زينب

وفي (الدر المنثور) من ابتسامات النبي صلى الله عليه وسلم التي رافقت بعض الآيات . أورد السيوطي في تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[2] حديث زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها ، التي كانت قبل ذلك زوجة زيد بن حارثة رضي الله عنه المسمى في بداية حياته زيد بن محمد ، فعزا إلى ابن سعد والحاكم عن محمد

(١) سورة الضحى/ ١ـ٢ .
(٢) سورة الأحزاب/ ٣٧ .

ابن يحيى بن حيان حديثاً فيه : «ففارقها زيد واعتزلها ، وانقضت عدتها ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة رضي الله عنها إذ أخذته غَشْية فسُرِّيَ عنه وهو يبتسم ويقول :

- من يذهب إلى زينب فيبشرها أن الله زوجنيها من السماء؟

وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ .

قالت عائشة : فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها ، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها زوجها الله من السماء ، وقلت : هي تفخر علينا بهذا» .

وأورد القصة صاحب السيرة الحلبية قال :

فلما انقضت عدتها أرسل زيداً لها فقال له : اذهب فاذكرها علي فانطلق .

قال : فلما رأيتها عظمت في صدري . فقلت : يا زينب

أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك .

قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي . أي استخيره .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة ، إذ نزل عليه الوحي بأن الله زوجه زينب فسُرِّيَ عنه وهو يبتسم وهو يقول :

- من يذهب إلى زينب فيبشرها أن الله زوجنيها من السماء ! !

إنها الطلعة النبوية البسامة دائماً حتى مع تنزل الوحي من السماء ! . .

ابتسامات نبوية... وعجائب مروية

ـ العجائب وموقف الإنسان منها :

العجائب أمور تثير في الإنسان الاستغراب ، وتفاجئه بما هو غير معهود لديه ، وتدعوه إلى الدهشة والتساؤل . . . وما سميت العجائب عجائب إلا لما فيها مما هو بعيد أو مستغرب أو غير طبيعي . . . ولذلك فردود الفعل لدى الإنسان تجاهها يتعدد ويتنوع .

ومما لا جدال فيه أن التبسم أحد ردود الفعل عند العجائب ، وغالباً ما يدل التبسم عندها على تصديقها أو تصديق راويها ، أو إعجاب السامع وانبهاره بها ، أو حصول ما يتمناه فيها .

وها نحن نجمع هنا بعض الابتسامات النبوية التي صاحبت بعض العجائب .

الأولى : أفيكم سواد بن قارب؟

أورد ابن كثير في (البداية) ونسب ذلك إلى البيهقي عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال :

- «أيها الناس أفيكم سواد بن قارب؟

قال فلم يجبه أحد تلك السنة ، فلما كانت السنة المقبلة قال :

- أيها الناس أفيكم سواد بن قارب؟

قال فقلت : يا أمير المؤمنين وما سواد بن قارب؟

قال فقال عمر رضي الله عنه : إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئاً عجيباً ! قال فبينما نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب

قال فقال عمر : يا سواد حدثنا ببدء إسلامك كيف كان؟

قال : بينما أنا ذات ليلة نائم إذ جاءني في منامي ذلك قائل قال : قم فافهم ، واعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول من لؤي ابن غالب ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتحساسها . . وشدها العيس بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى . . ما خَيِّرُ الجن كأنجاسها

فانهض إلى الصفوة من هاشم . . واسمُ بعينيك إلى رأسها .

قال : ثم أنبهني فأفزعني ، وقال : يا سواد بن قارب إن الله عز وجل بعث نبياً فانهض إليه تهتد وترشد .

فلما كان من الليلة الثانية أتاني فأنبهني ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها . . وشدها العيس بأقتابها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى . . ليس قداماها كأذنابها

فانهض إلى الصفوة من هاشم . . واسم بعينيك إلى قابها

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال :

عجبت للجن وتخبارها . . وشدها العيس بأكوارها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى . . ليس ذوو الشر كأخيارها

فانهض إلى الصفوة من هاشم . . ما مؤمنو الجن ككفارها .

قال : فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الإسلام .

قال : فانطلقت إلى رحلي فشددته على راحلتي ، فما طلعت تسعة ولا عقدت أخرى ، حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بالمدينة ـ يعني مكة ـ والناس عليه كعرف الفرس (قليل) فلما رآني النبي صلى الله عليه وسلم

قال : مرحباً بك يا سواد بن قارب ، قد علمنا ما جاء بك

قال قلت : يا رسول الله قد قلت شعراً فاسمعه مني ، قال صلى الله عليه وسلم : قل يا سواد : قلت :

أتاني رئيي بعد ليل وهجعةٍ . .

ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليـــال قـــوله كل ليلة . .

أتاك رســـول من لؤي بن غـــالب

فشمرت عن ساقي الإزار ووسطت . .

بي الدعلب الوجناء بين السـبـاسب

فـأشـهـد أن الله لا رب غـيـره . .

وأنك مـأمـون على كل غـائب

وأنك أدنى المرسلين وسـيلة . .

إلى الله يا ابن الأكـرمين الأطايب

فـمـرنا بما يأتيك يا خـيـر مـرسل . .

وإن كـان فـيـمـا جـاء شـيبُ الذوائب

وكن لي شـفـيـعاً يوم لاذو شـفـاعـة . .

سـواك بمغن عن سـواد بن قـارب

قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال لي : أفلحت يا سواد .

قال عمر رضي الله عنه : هل يأتيك رئيك الآن ؟

فقال : منذ قرأت القرآن لم يأتني ، ونعم العوض كتاب الله

عز وجل من الجن !»

الثانية : ما وضع أحد قط جنبي قبلك

قال السيوطي في (الخصائص الكبرى) أخرج أبو نعيم عن أبي أمامة قال : «كان رجل من بني هاشم يقال له ركانة ، وكان من أشد الناس وأفتكهم ، وكان مشركاً يرعى غنماً له في واد يقال له إضم ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وتوجه قبل ذلك الوادي ، فلقيه ركانة وليس مع النبي صلى الله عليه وسلم أحد ، فقام إليه ركانة فقال :

- يا محمد أنت الذي تشتم آلهتنا اللات والعزى ، وتدعو إلى إلهك العزيز الحكيم ، لولا رحم بيني وبينك ما كلمتك الكلام حتى أقتلك ، ولكن أدع إلهك العزيز الحكيم ينجيك مني اليوم . وسأعرض عليك أمراً : هل لك أن أصارعك وتدعو إلهك ، وأنا أدعو اللات والعزى ، فإن أنت صرعتني فلك عشر من غنمي هذه تختارها .

فقال عند ذلك نبي الله : نعم . إن شئت . . .

فأخذه النبي فصرعه وجلس على صدره .

فقال ركانة : قم فلست أنت الذي فعلت بي هذا ، إنما فعله

إلهك العزيز الحكيم ، وخذلتني اللات والعزى ، وما وضع أحد قط جنبي قبلك . . .

ثم طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يصارعه ثانية ، على أن يزيده ركانة عشراً أخرى من الغنم ، ففعل صلى الله عليه وسلم وصرعه وجلس على صدره .

فعاد يطلب منه أن يصارعه مرة ثالثة وله عشر أخرى غير سابقتيها من غنمه ، ففعل صلى الله عليه وسلم

فقال ركانة : صارعني أخرى ولك ثلاثون من غنمي .

فقال صلى الله عليه وسلم : ما أريد ذلك : ولكني أدعوك إلى الإسلام يا ركانة ، وأنفس بك أن تصير إلى النار ، إنك إن تُسلم تَسْلم

فقال له ركانة : لا إلا أن تريني آية

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : الله شهيد عليك إن أنا دعوت ربي فأريتك آية لتجيبني إلى ما دعوتك إليه .

قال : نعم . وقريب منه شجرة سَمُر ذات فروع وقضبان ، فأشار إليها نبي الله ، أقبلي بإذن الله ، فأقبلت حتى كانت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ركانة .

ورغم ذلك أبى أن يسلم ، وقال : أخشى أن يتحدث نساء المدينة (مكة) وصبيانهم أني إنما جئتك لرعب دخل في قلبي منك ، ولكني قد علموا أنه لم يضع جنبي قط أحد ، ولم يدخل قلبي رعب ساعة قط ليلاً ولا نهاراً . ولكن دونك فاختر غنمك .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ليس لي حاجة إلى غنمك إذ أبيت أن تسلم

فانطلق نبي الله راجعاً ، فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يلتمسانه بعد أن علما أنه في وادي ركانة ، وخشيا أن يلقاه ركانة فيقتله ، فلما رأياه قالا :

يا نبي الله كيف تخرج إلى هذا الوادي وحدك ، وقد عرفت أنه جهة ركانة ، وأنه من أفتك الناس وأشدهم تكذيباً لك؟ فضحك إليهما النبي صلى الله عليه وسلم وقال :

- أليس الله يقول : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] إنه لم يكن يصل إلي والله معي» .

الثالثة : يا رب اغفر لأمتي وارحمها :

ومن العجائب التي أضحكت النبي صلى الله عليه وسلم في

(١) سورة/ ٦٧

ساعة عبادة وخشوع وتبتل وخضوع ما رواه الإمام أحمد في (مسنده) وأبو داود وغيرهما عن العباس بن مرداس رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة ، فأكثر الدعاء

فأجابه الله عز وجل : قد فعلت وغفرت لأمتك إلا من ظلم بعضهم بعضاً

فقال : يا رب إنك قادر أن تغفر للظالم وتثيب المظلوم خيراً من مظلمته

فلم يكن في العشية إلا ذاك ، فلما كان من الغد دعا غداة المزدلفة ، فعاد يدعو لأمته ، فلم يلبث النبي صلى الله عليه وسلم أن تبسم .

فقال بعض أصحابه : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ضحكت في ساعة لم تكن تضحك فيها ، فما أضحكك ، أضحك الله سنك؟

قال : تبسمت من عدو الله إبليس حين علم أن الله عز وجل قد استجاب لي في أمتي وغفر للظالم ، أهوى (أي إبليس) يدعو بالثبور والويل ويحثو التراب على رأسه ، فتبسمت مما يصنع من جزعه» .

الرابعة : هلك الضمار وفاز أهل المسجد :

وعباس بن مرداس - الذي روى الحديث السابق في ابتسامة النبي صلى الله عليه وسلم غداة المزدلفة - صحابي سُلَمي ، كان إسلامه لعجيبة من العجائب أضحكت النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام نقلاً في (السيرة) عن إبن اسحاق : «كان لمرداس (والد عباس) صنم يعبده يقال له (ضمار) ، فلما حضرت مرداساً الوفاة قال لابنه عباس :

- أي بني أعبد ضماراً فإنه ينفعك ويضرك

فبينما عباس يوماً عند ضمار (وفي رواية : فبينما عباس كان في لقاح له نصف النهار) إذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال له :

- يا عباس ألم تر أن السماء قد تعب أحراسها ، وأن الحرب قد حرقت أنفاسها ، وأن الخيل وضعت أحلاسها ، وأن الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصواء

قال عباس : فراعني ذلك

فجئت وثناً لنا كنا نعبده فكنست ما حوله ، ثم تمسحت به ،

فإذا صائح يصيح من جوفه :

قل للقبائل من قريش كلها . .

هلك الضمار وفاز أهل المسجد

هلك الضمار وكان يُعْبَد مدة . .

قبل الصلاة على النبي محمد

إن الذي ورث النبوة والهدى . .

بعد ابن مريم من قريش مهتد

وأوردها صاحب السيرة الحلبية كما يلي :

مَن للقبائل من سليم كلها

أودى ضمار وعاش أهل المسجد

إن الذي ورث النبوة والهدى

بعد ابن مريم من قريش مهتد

أودى ضمار وكان يُعْبَد مدة

قبل الكتاب إلى النبي محمد

قال عباس : فخرجت مع قومي بني حارثة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فدخلت المسجد ، فلما رآني صلى

الله عليه وسلم تبسم ، وقال :

- يا عباس كيف كان إسلامك؟

فقصصت عليه القصة ، فقال : صدقت . وأسلمت أنا وقومي» .

وهناك روايات عديدة في إسلام عباس بن مرداس ، وقد كان إسلامه ـ كما يقول ابن حجر ـ قبيل فتح مكة .

وذكر أبو عبيدة مَعْمر بن المثنى أن أم عباس بن مرداس الخنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة المشهورة .

اجتهادات ... تواجه بابتسامة نبوية

مقدمة :

هذه جملة من الاجتهادات الشخصية والمواقف الخاصة ببعض الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، رد عليها النبي صلى الله عليه وسلم بابتسامته المعهودة المعروفة كثيراً عنه ، مع اختلاف دلالتها ، وتباين مغزاها ، إذ لم ترد بمعنى واحد ، بل إما أن تدل على الاستغراب ، أو على الاستنكار ، أو على الإعجاب ، أو على مطلق الإباحة . . . إنها في مجموعها قصص مأثور في كتب السيرة النبوية والحديث الشريف اقترنت كل منها بابتسامة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فاستحقت أن تضم إلى بحثنا هذا حول الابتسامات النبوية .

- مع التيمم . . . ابتسامة

جاء في (معجم الصحابة) و(تهذيب الكمال) عن يونس بن أبي إسحاق قال : حدث ناجية أبا إسحاق وأنا معه قال : «تمارى عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود في التيمم ، فقال عمار :

أما تذكر أنا كنا نتناوب رعية الإبل ، فأجنبتُ ، فتمعكتُ كما يتمعك البعير أو الدابة ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم

فأخبرته . فضحك ، وقال :

كان يكفيك من ذلك التيمم» .

وذكر ابن القيم في (زاد المعاد) عن عامر قال : «بعث رسول الله جيش ذات السلاسل ، فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين ، واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب

ثم قال : وفي هذه الغزوة احتلم أمير الجيش عمرو بن العاص ، وكانت ليلة باردة ، فخاف على نفسه من الماء ، فتيمم وصلى بأصحابه الصبح ، فذكروا ذلك لرسول الله ، فقال :

- يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبره بالذي منعه من الاغتسال ، وقال :

- إني سمعت الله يقول ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾[1] فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل له شيئاً» رواه أحمد في المسند .

- ابتسامة في قصة امرأة مطلقة :

ومما تبسم له النبي صلى الله عليه وسلم من شأن أصحابه أن امرأة طلقها زوجها ثلاثاً فتزوجت غيره ، ثم ادعت أنه لا يصل

(١) سورة النساء/ ٢٩ .

إليها . وقصدت من ذلك أن يطلقها النبي صلى الله عليه وسلم من زوجها الثاني ، لتعود إلى زوجها الأول . ولنر كيف حدث ذلك .

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : «جاءت امرأة رفاعة القرظي «وقد ذكرت بعض المراجع أنها تميمة أو سهيمة بنت وهب بن عبيد» جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جالسة عنده وعنده أبو بكر فقالت :

- يا رسول الله إني كنت تحت رفاعة القرظي ، فطلقني فبت طلاقي ، فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير ، وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة ـ وأخذت هدبة من جلبابها ـ فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن له ، فقال خالد : يا أبا بكر ألا تنهى هذه عما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . تقول عائشة : فلا والله ما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على التبسم . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا ، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته . فصار سنة بعد» .

وأورد الزمخشري في (الفائق) «أن رفاعة طلق امرأته فتزوجها عبدالرحمن ابن الزبير ، فجاءت وعليها خمار أخضر ، فشكت إلى

عائشة رضي الله عنها وأرتها خضرة جلدها ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . والنساء ينصر بعضهن بعضاً . قالت عائشة :

- ما رأيت مثل ما تلقى المؤمنات ، لَجِلْدها أشد خضرة من ثوبها . وسمع زوجها أنها قد أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ومعه ابنان له من غيرها .

قالت امرأة رفاعة الشاكية : والله مالي إليه من ذنب ، إلا أن ما معه ليس بأغنى عني من هذه . وأخذت هدبة من ثوبها .

فقال زوجها : كذبت والله يا رسول الله إني لأنفضها نفض الأديم . ولكنها ناشز تريد رفاعة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن كان ذلك لم تحلي له حتى تذوقي عسيلته .

فأبصر معه ابنين له فقال : أبنوك هؤلاء؟

قال : نعم .

قال : هذا الذي تزعمين ما تزعمين ، فوالله لهم أشبه به من الغراب بالغراب» .

وفي (العجاب في بيان الأسباب لشهاب الدين أحمد بن

علي) قال الثعلبي : نزلت هذه الآية (وهي بداية سورة المجادلة) في تميمة القرظية «كانت تحت رفاعة ابن وهب بن عقيل ، فطلقها ثلاثاً ، فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير النضري فطلقها ، فأتت نبي الله ، فقالت :

- إني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي ، فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير ، وإنما معه مثل هدبة الثوب ، ولقد طلقني قبل أن يمسني أفأرجع إلى ابن عمي؟

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تريدين أن ترجعي إلى رفاعة .لا . .) الحديث . فلبث ما شاء الله ثم رجعت فقالت :

إن زوجي كان قد مسني ، فقال لها النبي :

كذبت بقولك الأول فلن نصدقك . . .»

- ابتسامة لعدي بن حاتم وخيطيه :

ومما تبسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتهادات أصحابه ما فعله عدي بن حاتم رضي الله عنه لما أراد معرفة آية من كتاب الله . وكان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان . . . وذلك على النحو التالي :

روي الطبري عن عدي بن حاتم قال : «أتيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم فعلمني الإسلام ، ونعت لي الصلوات كيف أصلي كل صلاة لوقتها ، ثم قال :

- إذا جاء رمضان فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتم الصيام إلى الليل .

قال : ولم أدر ما هو ، ففتلت خيطين من أبيض وأسود ، فنظرت فيهما عند الفجر فرأيتهما سواء ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

- يا رسول الله ، كلَّ شيء أوصيتني قد حفظتُ ، غير الخيط الأبيض من الخيط الأسود .

قال : وما فعلت يا ابن حاتم؟ وتبسم كأنه قد علم ما فعلت .

قلت : فتلت خيطين من أبيض وأسود فنظرت إليهما من الليل فوجدتهما سواء .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رئي نواجذه ثم قال :

ألم أقل لك من الفجر ، إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل» .

- وابتسامة أخرى لعدي :

وعدي بن حاتم هذا هو الذي فرح النبي صلى الله عليه

وسلم بإسلامه وانفرجت أساريره لذلك ، وتهلل وجهه فرحاً .

نقل صاحب (السيرة الحلبية) و(البداية والنهاية) عن الإمام أحمد عن عدي بن حاتم قال :

«جاءت خيل رسول الله وأنا بعقرب فأخذوا عمتي وناساً ، فلما أتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فصفوا له ، قالت عمته :

- يا رسول الله بانَ الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمُنَّ عليّ ، مَنّ الله عليك . فقال :

ومن وافدك؟ قالت : عدي بن حاتم .

قال : الذي فرَّ من الله ورسوله !

قالت : فمُنَّ علي . فلما رجع ورجل إلى جنبه ترى أنه علي قال : سليه حملاناً ، قال : فسألته فأمر لها

قال عدي : فأتتني ، فقالت : لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها وقالت : ايته راغباً ، أو راهباً فقد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه .

قال : فأتيته فإذا عنده امرأة وصَبيّان أو صبي ، فذكر قربهم منه ، فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر ، فقال له :

يا عدي بن حاتم ما أفرّك؟ أفرّك أن يقال : لا إله إلا الله ! فهل من إله إلا الله؟ ! ما أفرّك؟ أفرّك أن يقال : الله أكبر ! فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟ ! فأسلمت فرأيت وجهه استبشر» .

- أم أيمن الحاضنة تستحق ابتسامة :

وابتسم النبي صلى الله عليه وسلم من فعل عجيب فعلته حاضنته أم أيمن دون قصد .

أخرج الحاكم والدارقطني وأبو نعيم عن أم أيمن رضي الله عنها قالت :

«قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها ، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر ، فلما أصبح قال :

- يا أم أيمن قومي فأهرقي ما في تلك الفخارة .

فقلت : قد والله شربت ما فيها !

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال :

- أما والله لا يجعر بطنك أبداً» أي لا يصيبه مكروه أو داء .

وفي رواية قال لها : «إنك لن تشتكي بطنك بعد» .

وابتسامة لعبدالرحمن بن رواحة الشاعر :

وأخرج ابن عساكر عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما «أن عبدالله بن رواحة كان مضطجعاً إلى جنب امرأته ، فخرج إلى الحجرة فواقع جارية له ، فانتبهت المرأة فلم تره ، فخرجت فإذا هو على بطن الجارية ، فرجعت وأخذت الشفرة ، فلقيها ومعها الشفرة

فقال : مهيم؟ !

فقالت : مهيم . أما أني لو وجدتك حيث كنتَ لوجأتك بها .

قال : وأين كنتُ؟

قالت : على بطن الجارية .

قال : ما كنت .

قالت : بلى .

قال : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب . فقالت : اقرأه . قال :

أتانا رسول الله يتلو كتابه ... كما لاح مسطور من الصبح طالع

أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

قالت : آمنت بالله وكذبت بصري .

قال عبدالرحمن : فغدوت على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك حتى بدت نواجذه» .

- طلاق غير متوقع :

ومما ابتسم عنده صلى الله عليه وسلم خبر مفاجئ مذهل لأحد أصحابه ، أدى به إلى طلاق زوجته على نحو غير متوقع .

روى البخاري عن عقبة بن الحارث «أن امرأة سوداء جاءت فزعمت أنها أرضعتهما (أي عقبة وزوجته) فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأعرض عنه وتبسم النبي صلى الله عليه وسلم قال :

-كيف وقد قيل ! وكان تحته ابنة أبي إهاب التميمي» .

وفي رواية للدارقطني قال : «تزوجت ابنة أبي إهاب بن عزيز قال : فجاءت امرأة سوداء تسأل نعطها

فقالت : إني والله أرضعتكما .

فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وقال : إنها كاذبة يا رسول الله .

فقال له عليه السلام : كيف وقد قيل . فطلقها ونكحت ضريب بن الحارث فولدت له» .

- أضحكهما . . . كما أبكيتهما :

ومن المواقف الكريمة للنبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر أحد أصحابه بعد حضوره للجهاد معه دون إذن والديه أن يرجع إلى والديه ليعمل جاهداً في إضحاكهما

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ؛ قال : «أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله ! إني جئت أريد الجهاد معك ، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة ، ولقد أتيت وإن والدي ليبكيان : قال :

- فارجع إليهما ، فأضحكهما كما أبكيتهما» . رواه ابن ماجه

وقال القرطبي رحمه الله : وفي خبر آخر أنه قال :

- نومك مع أبويك على فراشهما يضاحكانك ويلاعبانك أفضل لك من الجهاد معي» . ذكره ابن خويز منداد .

مأساة أسرية ... تنتهي بابتسامة نبوية

الظهار عند العرب طلاق :

نزل القرآن الكريم يرشد العرب ويخرجهم من جاهليتهم ، ويردعهم عن شططهم في كثير من الأمور ، فكان بذلك الدواء الشافي والعلاج الناجح .

وكان فيما أبطله الإسلام من أمر الجاهلية طلاق الظهار ، الذي شاع واشتهر بين العرب قبل الإسلام ، حيث تطلق المرأة من زوجها إذا قال :

أنت عليّ كظهر أمي

وبقي الأمر في صدر الإسلام على ذلك ، حتى حدثت حادثة شهيرة نزل بسببها قول الله تعالى ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾[1] وما بعدها .

وقد تخللت تلك - الحادثة كما يرويها أصحاب السير وكتب الحديث الشريف - ابتسامة نبوية كريمة ، بل ابتسامتان نبويتان كريمتان ، دلت أولاهما : على فرح النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة المجادلة/ ١ .

بالفرج الذي أزال الغمة عن قلب مؤمنة صالحة صابرة ، ودلت الثانية : على تعجبه من حال من أُمر بتفريق كفارة ظهاره على فقراء هو أحوج منهم إلى كفارته نفسها !! .

أوس بن الصامت وخولة بنت ثعلبة :

وقصة حادثة الظهار تدور حول زوج وزوجته ، وهي من القصص التي ثبتت في الصحيح .

أما الزوج فهو أوس بن الصامت ، وأما الزوجة فخولة بنت ثعلبة

وأوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة صحابي أنصاري خزرجي ، وهو أخو عبادة بن الصامت ، أسلم مع الأوائل من الأنصار ، وشهد بدراً والمشاهد غيرها ، عاش إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتوفي بالرملة سنة (٣٤هـ) وله خمس وثمانون سنة ، وكان به لمم وسوء بصر .

وخولة بنت ثعلبة اختلف في اسمها ، فقيل : خويلة بالتصغير وقيل بنت مالك بن ثعلبة ، وقيل : خولة بنت خويلد ، وقيل غير ذلك ، صحابية من الأنصار من الخزرج ، وهي بنت عم أوس بن الصامت . كانت من الصالحات اكتسبت شهرة واسعة بسبب قصة الظهار الواردة في مطلع سورة (المجادلة) .

حديث الظهار ، وسبب نزول الآية :

روى ابن سعد في الإصابة - وغيره - عن خولة قالت : فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل صدر سورة المجادلة . قالت : «كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر ، قالت : فدخل علي يوماً فراجعته بشيء فغضب ، وقال :

أنت علي كظهر أمي . ثم جلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل علي فإذا هو يريدني ! قال فقلت :

كلا والذي نفسي بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا . قالت : فواثبني فامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عني ، ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفي رواية : أنه لما قال لها : أنت علي كظهر أمي ، أسقط في يده ، وقال :

ما أراك إلا قد حرمت علي ، انطلقي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأليه .

تقول خولة : خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً ، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فدخلت عليه وعائشة رضي الله عنها تمشط رأسه (وعند عبد بن حميد تدهنه ، وعند بعضهم تغسل رأسه) فأخبرته - وكان الظهار أشد الطلاق وأحرم الحرام ، إذا ظاهر الرجل من زوجة لم ترجع إليه أبداً - فقال لها رسول الله صلى الله وسلم :

- ما أمرنا بشيء من أمرك ، ما أراك إلا قد حرمت عليه .

تقول : وجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه .

فقالت : إنه أبو ولدي وأحب الناس إلي ، وتقول : أشكو إلى الله فاقتي وتركي إلى غير أحد ، وقد كبر سني ورق عظمي ، إلى الله أشكو شدة وحدتي وما شق علي من فراقه وما نزل بي وبصبيتي . يا رسول الله إن أوس بن الصامت تزوجني وأنا ذات مال وأهل ، فلما أكل مالي وذهب شبابي ونفضت بطني وتفرق أهلي ظاهرني ، يا رسول الله إن لي منه صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلي جاعوا

وصارت ترفع رأسها إلى السماء وهي تناشد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجادله . . . وهو لا يزيد على قوله :

ما أراك إلا قد حرمت عليه . ثم بكت وصاحت .

تقول عائشة رضي الله عنها : فلقد بكيت وبكى من كان في البيت رحمة لها ورقة عليها .

الله يسمع . . . والوحي يتنزل :

تقول خولة : فبينما هو صلى الله عليه وسلم قد فرغ من شق رأسه (يمتشط أو تمشطه عائشة) وأخذ في الشق الآخر تغشّاه ما كان يتغشاه ، ثم سرّي عنه

فقال لي وهو يبتسم : يا خولة أبشري .

قالت : خيراً

قال : قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً . ثم قرأ عليّ ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ . . إلى قوله تعالى ﴿ **وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ .

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات . لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا . . . . .** ﴾

وفي رواية قالت عائشة : تبارك الذي أوعى سمعه كلَّ شيء .

إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه ، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ليكفرْ عن يمينه ثم ليراجع زوجته :

وتتابع خولة قولها : سري عن رسول الله وهو يبتسم ، فقال لها :

- مريه فليحرر رقبة ، فقالت :

- والله ماله خادم غيري

قال : مريه فليصم شهرين متتابعين

قالت : والله إنه لشيخ كبير إنه إن لم يأكل في اليوم مرتين يسدر بصره (يزيغ بصره ويتشتت)

قال : فليطعم ستين مسكيناً

فقالت : والله ما لنا في اليوم إلا وقية

فقال : مريه فلينطلق إلى فلان - يعني شخصاً من الأنصار- أخبرني أن عنده شطر وسق من تمر يريد أن يتصدق به فليأخذه منه .

وفي رواية : مريه فليأت أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق تمر ، فليتصدق به على ستين مسكيناً وليراجعك .

وفي لفظ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا سأعينه بفرق من تمر . فبكت .

وقالت : يا رسول الله سأعينه بفرق آخر ، قال : قد أصبت وأحسنت ، فاذهبي فتصدقي به عنه ، ثم استوصي بابن عمك خيراً .

وفي رواية : لما قال لها صلى الله عليه وسلم : ما أعلم إلا قد حرمت عليه قالت لها عائشة : وراءك - إي ارجعي وراءك أو تأخري - فتنحت . فلما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وسري عنه قال :

- يا عائشة أين المرأة؟

قالت : ها هي هذه .

قال : ادعها . فدعتها ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم :

- اذهبي فجيئي بزوجك . فذهبت فجاءت به وأدخلته على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو ضرير البصر فقير سيئ الخلق .

فقال له صلى الله عليه وسلم :

أتجد رقبة؟

قال : لا ، ما لي بهذا من قدرة .

قال : أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟

قال : والذي بعثك بالحق إني إذا لم آكل المرة والمرتين والثلاث يغمى عليّ .

قال : أتستطيع أن تطعم ستين مسكيناً ؟

قال : لا ، إلا أن تعينني بها . فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : على أفقر مني ! فوالذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه مني .

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى برزت نواجذه .

وفي رواية : قال : ما بين لابتيها أهل بيت أفقر منا . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه أو أنيابه قال : - اذهب به إلى أهلك فأطعمهم إياه . . . . وكان هذا أول ظهار وقع في الإسلام .

لو لم تنصرف إلى الليل لوقف عمر معها :

قال صاحب (السيرة الحلبية) : ومر عمر رضي الله عنه بخولة هذه في أيام خلافته .

فقالت له : قف يا عمر

فوقف لها ودنا منها ، وأصغى إليها ، وأطالت الوقوف ، وأغلظت له القول ، أي قالت :

هيهات يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميراً ، وأنت في سوق عكاظ تروّع الصبيان أو : ترعى الضأن بعصاك ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين ، فاتق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت .

فقال لها الجارود : قد أكثرت أيها المرأة على أمير المؤمنين

فقال عمر رضي الله عنه : دعها

وفي رواية : فقال له قائل : حبستَ الناس لأجل هذه العجوز !

قال : ويحك وتدري من هذه؟

قال : لا !

قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات . هذه خولة بنت ثعلبة ! والله لو لم تنصرف عني إلى الليل لما انصرفت حتى تقضي حاجتها .

ابتسامة في الظهار لرجل آخر :

ومما يذكر في باب ابتسام النبي صلى الله عليه وسلم في قصة أوس بن الصامت وظهاره من زوجته . أن هناك ابتسامة أخرى رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الموضوع لكنها لرجل آخر .

قال القرطبي : روى جماعة من الأئمة منهم ابن ماجه والنعساني عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رجلاً ظاهر من امرأته فغشيها قبل أن يكفر ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له

فقال : ما حملك على ذلك؟

فقال : يا رسول الله رأيت بياض خلخالها في ضوء القمر ، فلم أملك نفسي أن وقعت عليها .

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره أن لا يقربها حتى يكفر» .

ابتسامات نبوية... في أمور أخروية

ـ اليوم الآخر . . . والإيمان بالغيب

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان عقيدة المسلم ، وهو جزء من إيمانه بالغيب ، المذكور في قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ .

والغيب ما غاب عنك ، وبالتالي فإن المسلم لا يعتقد بأمر من أمور الغيب ـ التي تشمل الآخرة بما فيها من جنة ونار وصراط وميزان وبعث ونشور وبرزخ ، كما تشمل الملائكة وعالمهم ، والجن وأحوالهم ، وما يتعلق بالذات الإلهية وصفاتها ، وقضاء الله وقدره وغير ذلك ـ إلا إذا جاءه الخبر الصادق عن الله سبحانه في كتابه أو عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه وسنته . . . وهذا ما لا خلاف فيه . . . إذ لا سبيل لمعرفة الغيب المؤكد إلا ذاك .

وأمور الغيب مما اختص الله بعلمه ﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾[1] ، وأما إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فهو ليس من قبيل علمه به علماً ذاتيا مستقلاً ، بل بما علمه الله به ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ**

(١) سورة النمل / ٦٥ .

أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[١] .

ـ الابتسامات الأخروية . . . متفاوتة الدرجات :

ومن الأخبار التي تناولت بعض ما سيكون يوم القيامة ، أو أخبرت ببعض ما في علم الله من أمور ، أخبار تضمنت ابتسامات للنبي صلى الله عليه وسلم بسبب غرابتها ، أو سعة رحمة الله فيها ، أو تعجب النبي صلى الله عليه وسلم منها . . .

وهي - قبل أن نسرد بعضها - ليست جميعاً أحاديث تصلح للاعتقاد لضعف سند بعضها ، وإنما نوردها هنا من باب التقصي والتتبع لابتسامات رسول الله صلى الله عليه وسلم البسام دائماً ، كما أن فيها أحاديث قوية صحيحة . . . وقد ذكر العلماء كلا النوعين وبينوا أحواله في موطنه ، وعلى من يريد معرفة ذلك الرجوع إلى المصادر المختصة . وهذا مادر جنا عليه في عامة كتابنا هذا .

ـ عبد يجادل ربه . . .

روى مسلم والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه .

---

(١) سورة الجن/ ٢٦-٢٧ .

ثم قال : أتدرون مم أضحك؟

قلنا : الله ورسوله أعلم .

قال : من مجادلة العبد لربه . يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم؟

فيقول : بلى .

فيقول : لا أجيز علي إلا شاهداً من نفسي .

فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام عليك شهوداً .

فيختم على فيه ، ويقول لأركانه : انطقي ، فتنطق بعمله . ثم يخلى بينه وبين الكلام . فيقول :

بعداً لكنّ وسحقاً ، فعنكن كنت أناضل . . .»

ويؤيد هذا قوله تعالى : ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[1] وقوله ﴿**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[2] .

(١) سورة يس/ ٦٥

(٢) سورة فصلت / ٢١

ـ يستر عليه ذنوبه ولا يفضحه :

وروى الإمام مسلم في (صحيحه) عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- «إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار ، وآخر أهل الجنة دخولاً إلى الجنة . يؤتى برجل ، فيقول أي الرب سبحانه : نحوا عنه كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها .

قال : فيقال له : عملت يوم كذا كذا وكذا ، وعملت يوم كذا كذا وكذا؟ !

فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئاً .

فيقال : فإن لك بكل سيئة حسنة .

فيقول : يا رب عملت أشياء لا أراها ههنا .

قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه» .

ـ لن تجده إلا قرشياً أو أنصارياً

وفي (الجامع الصحيح) للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوماً يحدث ، وعنده رجل من أهل البادية : أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع .

فقال الله تعالى : ألستَ فيما شئتَ .

فقال : بلى ، ولكن أحب أن أزرع .

قال : فبذر أي ألقى البذر على أرض الجنة ، فبادر الطرف نباته واستحصاده ، فكان مثل الجبال ، فيقول الله :

ـ دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء .

فقال الأعرابي : والله لن تجده إلا قرشياً أو أنصارياً ، فإنهم أهل زرع ، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم» .

ـ من ملوك الجنة هذا الشهيد :

وأخرج البيهقي في (الشعب) عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بخباء أعرابي وهو في أصحابه يريدون الغزو ، فرفع الأعرابي ناحية من الخباء .

فقال : من القوم؟

فقيل : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يريدون الغزو . فسار معهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة . فلقوا العدو ، فاستشهد فأخبر بذلك رسول الله ،

فأتاه فقعد عند رأسه مستبشراً يضحك ، ثم أعرض عنه .

فقلنا : يا رسول الله رأيناك مستبشراً تضحك ، ثم أعرضت عنه؟

فقال : أما ما رأيتم من استبشاري فلما رأيت من كرامة روحه على الله ، وأما إعراضي عنه فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه» .

ـ اكتبوا عمله الذي تخلف عنه لمرضه :

وجاء في (شرح العمدة) لابن الملقن : ذكر ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فتبسم .

فقلنا : يا رسول الله مم تبسمت ورفعت رأسك إلى السماء؟

قال : عجبت من ملكين نزلا من السماء يلتمسان عبداً مؤمناً كان في مصلاه يصلي ، فلا يجدانه ، فعرجا إلى الله فقالا :

يا رب عبدك فلان المؤمن كنا نكتب له من العمل في يوم وليلة كذا وكذا ، فوجدناه قد حبسته في حبالك ، فلم نكتب له شيئاً من عمله .

فقال : اكتبوا لعبدي عمله الذي كان يعمله في يومه وليلته ،

ولا تنقصوا منه شيئاً فعلي أجر ما حبسته ، وله أجر ما كان يعمل» .

ـ مكث حزيناً مدة ثم تبسم :

وأورد السيوطي في (الخصائص الكبرى) عن ابن سعد عن أبي عامر الصحابي «أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء خبر جعفر وأصحابه (وذلك بعد مقتلهم شهداء في غزوة مؤتة) مكث حزيناً ثم تبسم ، فقيل له ، فقال :

- إنه أحزنني قتل أصحابي ، حتى رأيتهم في الجنة إخواناً على سرر متقابلين ، ورأيت في بعضهم إعراضاً . كأنه كره السيف ، ورأيت جعفر ملكاً ذا جناحين مضرجاً بالدماء مصبوغ القوادم»

ـ إن شئتم أعلمتكم ، وإن شئتم فاسألوني :

ومن الابتسامات التي رافقت أموراً غيبية أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعض من يريد سؤاله عما في نفسه من السؤال قبل إفصاحه عنه .

روى ابن النجار والاصبهاني في دلائل النبوة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً جالساً بمجلسه ، فاطلع علي بن أبي طالب وأبو عبيدة بن الجراح

وعثمان وأبوبكر وعبدالرحمن بن عوف . فلما رآهم قد وقفوا تبسم ضاحكاً .

فقال : جئتموني تسألوني عن شيء ، إن شئتم أعلمكم وإن شئتم فاسألوني .

قالوا : بل تخبرنا يا رسول الله .

قال : جئتم تسألوني عن الصنائع لمن يحق؟ لا ينبغي صنيع إلا لذي حسب أو دين . وجئتم تسألوني عن جهاد الضعيفين : الحج والعمرة . وجئتم تسألوني عن جهاد المرأة ، إن جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها . وجئتم تسألوني عن الأرزاق من أين؟ أبى الله أن يرزق عبده إلا من حيث لا يحتسب»

ـ هما جميعاً في درجة واحدة في الجنة :

وقال ابن حمزة الحسيني في (البيان والتعريف) أخرج ابن عساكر عن يزيد بن حبيب «أن عكرمة بن أبي جهل (قبل أن يسلم) قتل رجلاً من الأنصار يقال له : المجدّر ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم .

فقال له رجل من الأنصار : يا رسول الله تبسمتَ أن قتلَ رجلٌ من قومك رجلاً منا؟

قال : لا ، ولكني تبسمت إذ كانا جميعاً في درجة واحدة في الجنة» . وذلك إشارة منه إلى إسلام عكرمة ، ثم استشهاده في سبيل الله فيما بعد .

ـ استغفر لي يا رسول الله :

وفي (المعجم الأوسط) للطبراني عن محمد بن أبي السري العسقلاني قال .

- رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام .

فقلت : يا رسول الله استغفر لي . فسكت عني .

فقلت : يا رسول الله إن سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه أنك ما سئلت شيئاً قط فقلت : لا .

فتبسم في وجهي ، وقال : اللهم اغفر له .

اللهم صلِّ وسلم وبارك على رسولك البسام حتى في المنام !! .

مِمَّ ضحكتَ... يا رسول الله !!

ـ الابتسامة ومعرفة سببها وتفسيرها :

الابتسامة فعل إنساني يحتاج إلى تفسير وبيان . . . تفسير في سببه ، وتفسير في معناه ومدلوله .

وأسباب الضحك والابتسامة الدافعة إليه الباعثة عليه ، المحركة له ، قد تكون ظاهرة للعيان معروفة للناظر والرائي ، وهذا هو الأكثر من ابتسامات النبي صلى الله عليه وسلم مما أدرك الراوي له أو الناظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سببه ، فلم يكن ثمة من داعٍ أو محرض على كشف النبي صلى الله عليه وسلم لسبب ابتسامته .

ولكن هناك ابتسامات نبوية احتاجت إلى معرفة الصحابة الكرام ـ ونحن من بعدهم بالطبع ـ لأسبابها ، فرافقها سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن سببها :

ـ «مِمَّ ضحكتَ يا رسول الله؟»

وفي أحيان أخرى فإن الصحابة رضي الله عنهم تهيبوا سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبادأته بطلب معرفة سبب ابتسامته ، فكان منه القول :

ـ «ألا تسألوني مم ضحكتُ؟» .

وهانحن نورد أحاديث شتى من الابتسامات النبوية يجمعها بيانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسببها .

ـ أبشر . . . وبشّر أمتك :

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : «بينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هبطت به راحلته من ثنية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسير وحده ، فلما أسهلت به الطريق ضحك وكبّر ، فكبّرنا لتكبيره ، ثم سار رتوة ثم ضحك وكبّر ، فكبّرنا لتكبيره ، ثم أدركناه ، فقال القوم :

ـ يا رسول الله ، كبّرنا لتكبيرك ، ولا ندري مم ضحكت؟

فقال : قاد الناقة لي جبريل عيه السلام ، فلما أسهل التفت إلي فقال : أبشر وبشّر أمتك أنه من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة ، فضحكتُ وكبّرت ربي ، ثم سار رتوة ثم التفت إلي فقال : أبشر وبشّر أمتك أنه من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة وقد حرم الله عليه النار ، فضحكت وكبّرت ربي ، ففرحت بذلك لأمتي» رواه الطبراني في الأوسط .

ـ قوم يساقون إلى الجنة في السلاسل :

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) : باب فيمن يسلم من الأسرى : عن أبي الطفيل قال : «ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

ـ ألا تسألوني مم ضحكتُ؟

قالوا : يا رسول الله مم ضحكتَ؟

قال : رأيت ناساً يساقون إلى الجنة في السلاسل .

قالوا : من هم يا رسول الله؟

قال : قوم يسبيهم المهاجرون فيدخلونهم في الإسلام» رواه البزار والطبراني .

وعن أبي أمامة قال : «استضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ، فقيل له : يا رسول الله ما يضحكك؟ قال : قوم يساقون إلى الجنة مقرنين في السلاسل» رواه أحمد والطبراني .

وفي كتاب (المعتصر من المختصر من مشكل الآثار) لأبي المحاسن الحنفي «أنه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى استغرب .

فقال : ألا تسألوني مم ضحكت؟

فقالوا : مم ضحكت يا رسول الله؟

قال : عجبت من قوم يقادون إلى الجنة في سلاسل ، وهم يتقاعسون عنها ، فما يكرّهها لهم؟

قالوا : وكيف يا رسول الله؟

قال : قوم من العجم يسبيهم المهاجرون ليدخلوهم في الإسلام وهم كارهون» .

ـ كل قضاء الله للمؤمن خير

قال المقدسي في (الأحاديث المختارة) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت :

- يا رسول الله مم ضحكت؟

قال : عجباً للمؤمن ، إن الله عز وجل لا يقضي له قضاء إلا كان خيراً له» . .

وأورده البزار في (مسنده) عن صهيب رضي الله عنه قال : «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بنا إحدى صلاتي العشي ، إما الظهر وإما العصر ، فلما سلم التفت إلينا بوجهه ضاحكاً فقال :

ألا تسألوني مم ضحكت؟

فقال القوم : الله ورسوله أعلم !

فقال : عجبت من قضاء الله للعبد المسلم ، إن كل قضاء الله له خير ، وليس كل أحد قضى الله له خيراً له إلا العبد المسلم» .

ـ أتهبنني ولا تهبن رسول الله؟

وروى البزار في (مسنده) عن سعد قال : «استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر رضي الله عنه بادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل عمر ورسول الله يضحك .

فقال عمر : أضحك الله سنك ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، مم ضحكت؟

قال : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك تبادرن الحجاب .

فقال عمر : فأنتَ كنتَ أحق أن يهبنك يا رسول الله .

فقال عمر : يا عدوات أنفسكن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله؟

قلن : نعم ، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب ،

والذي نفسي بيده ما لقيتَ الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك» .

وفي (كنز العمال) عن أنس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في داره فدخل عليه نسوة من قريش يسألنه ويستخبرنه رافعات أصواتهن ، فأقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن ، فلما سمعن صوت عمر بادرن الحجاب ، فأذنَ لعمر فدخل ، فاشتد ضحك النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر : أضحك الله سنك يا نبي الله ، مم ضحكت؟

قال : لا ، إلا أن نسوة من قريش دخلن علي يسألنني ويستخبرنني رافعات أصواتهن فوق صوتي ، فلما سمعن صوتك بادرن الحجاب .

فقال عمر : يا عدوات أنفسهن أتهبنني وتجترين على نبي الله صلى الله عليه وسلم؟

قالت امرأة منهن : إنك أفظ وأغلظ .

فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : مَهْ عن عمر ، فوالله ما سلك عمر وادياً قط فسلكه الشيطان» .

ـ تبارك الله أحسن الخالقين

وفي (المعجم الأوسط) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : «أملى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾[1] .

فقال معاذ بن جبل : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له معاذ :

- مم ضحكت يا رسول الله؟ قال :

- بها خُتِمَت : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ .

ـ ادع الله أن يجعلني منهم

وفي (مسند الإمام أحمد) عن أنس بن مالك رضي الله عنه : «اتكأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابنة ملحان ، قال : فرفع رأسه فضحك .

فقلت : مم ضحكت يا رسول الله؟

---

(١) سورة المؤمنون/ ١٢ - ١٤ .

فقال : أناس من أمتي يركبون هذا البحر الأخضر غزاة في سبيل الله مثلهم كمثل الملوك على الأسّرة .

قالت : ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم .

فقال : اللهم اجعلها منهم . فنكحت عبادة بن الصامت ، قال : فركبت في البحر مع ابنها قرظة ، حتى إذا أقفلت ركبت دابة لها بالساحل فوقصت بها فماتت» .

وعند البخاري عن أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت : «نام النبي صلى الله عليه وسلم يوماً قريباً مني ثم استيقظ يبتسم .

فقلت : ما أضحكك؟

قال : أناس من أمتي عرضوا علي ، يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة .

قالت : فادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها .

ثم نام الثانية ففعل مثلها (استيقظ يبتسم) ، فقالت مثل قولها (سألته عن سبب ضحكه) ، فأجابها مثلها .

فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : أنت من الأولين .

فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه غازياً

أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية رضي الله عنه ، فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام ، فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت»

وفي (كنز العمال) عن أم حرام قالت : «أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : أين أبوالوليد؟

فقلت : الساعة يأتيك . فألقيت له وسادة فجلس عليها فضحك .

فقلت : ما أضحكك يا رسول الله؟

قال : رأيت أول جيش من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا .

فقلت : يا رسول الله ، ادع الله لي أن أكون منهم .

فقال : اللهم اجعلها منهم . ثم ضحك .

فقلت : ما الذي أضحكك؟

فقال : أول جيش من أمتي يرابطون مدينة قيصر مغفور لهم» .

ـ يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون شتى :

وروى أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت :

«بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم إذ ضحك في منامه ، ثم استيقظ .

فقلت : يا رسول الله ، مم ضحكت؟

قال : إن أناساً من أمتي يؤمّون هذا البيت (يقصد الكعبة) لرجل من قريش قد استعاذ بالحرم ، فلما بلغوا البيداء خسف بهم ، مصادرهم شتى يبعثهم الله على نياتهم .

قلت : وكيف يبعثهم الله عز وجل على نياتهم ومصادرهم شتى؟

قال : جمعهم الطريق ، منهم المستبصر وابن السبيل والمجبور ، يهلكون مَهْلَكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى» .

ـ أعجبني جمالك يا عم :

وفي (كنز العمال) و(فضائل الصحابة) عن أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسين قال : «أقبل العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه وهو أبيض بض أي أرقهم لوناً وأحسنهم بَشَرة ، وعليه حلة وله ضفيرتان ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم .

فقال له العباس : يا رسول الله مم ضحكت ، أضحك الله سنك؟

قال : أعجبني جمالك يا عم .

فقال العباس : يا رسول الله ما الجمال في الرجل؟ قال : اللسان» .

وفي رواية في كنز العمال عن جابر رضي الله عنه قال : «جاء العباس بن عبدالمطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثياب بيض ، فلما نظر إليه تبسم .

فقال العباس : يا رسول الله ما الجمال؟

قال : صواب القول بالحق ، قال : فما الكمال؟ قال : حسن الفعال بالصدق»

ـ إنا أعطيناك الكوثر :

وروى مسلم وأبوداود واللفظ لأبي داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة ، فرفع رأسه متبسماً ، فإما قال لهم وإما قالوا له :

- يا رسول الله لم ضحكت؟

فقال : إنه أنزلت علي آنفاً سورة ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴾ فلما قرأها

قال : هل تدرون ما الكوثر؟

قالوا : الله ورسوله أعلم

قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة ، وعليه خير كثير ، عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب» .

زاد مسلم : «فيختلج العبد منهم فأقول : ربِّ إنه من أمتي ، فيقول : ما تدري ما أحدث بعدك» .

ـ يا رب خذ لي مظلمتي من أخي

وأورد أبو يعلى في مسنده والحاكم في (المستدرك) عن أنس رضي الله عنه قال : «بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه .

فقال عمر : ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟

قال : رجلان من أمتي جثَيا بين يدي رب العزة عز وجل

فقال أحدهما : يا رب خذ لي مظلمتي من أخي .

قال الله عز وجل : أعطِ أخاك مظلمته .

فيقول : يا رب لم يبق من حسناتي شيء .

قال : يا رب فليحمل عني من أوزاري .

ففاضت عين النبي صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال : إن

ذلك ليوم عظيم ، يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يُحْمل عنهم من أوزارهم .

فيقول الله عز وجل للمطالب : ارفع رأسك فانظر إلى الجنان .

فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من فضة ، وقصوراً من ذهب مكللةً باللؤلؤ ، لأي نبي هذا؟ لأي صدّيق هذا؟ لأي شهيد هذا؟

قال الله : هذا لمن أعطاني الثمن .

قال : يا رب فمن يملك الثمن؟

قال : أنت تملكه .

قال : بماذا يا رب؟

قال : بعفوك عن أخيك .

قال : يا رب قد عفوت عنه .

قال الله عز وجل : خذ بيد أخيك فادخل الجنة .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله عز وجل يصلح بين المؤمنين يوم القيامة» .

وختاماً : فهناك الكثير من الابتسامات الأخرى التي سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : مم ضحكت يارسول الله . أو قال هو ابتداء : ألا تسألوني ممَّ ضحكت؟ . . .

ابتسامات نبوية في الصلاة... أحكام وآداب

ـ الصلاة أركان وآداب :

الصلاة عمود الدين ، وركنه الركين ، وهي الفرض العملي الأول والأهم فيه ، ولها شروطها وأركانها وآدابها . . . وتفصيلات الأقوال والأفعال فيها واضحة وضوحاً كبيراً . . . واهتمام المسلمين بإقامتها والخشوع فيها والحفاظ عليها تفوق اهتمامهم بأي عبادة أخرى ، ويكفي الصلاة شرفاً أن إقامتها إقامة للدين ، وأن تركها هدم للدين ، فمن تركها كفر . . . ومن قُبلتْ منه يوم القيامة قُبِل سائر عمله ، وإن رُدّت رُدّ سائر عمله .

ـ الابتسامة في الصلاة . . . حوادث وأحكام :

ولما كانت الابتسامة الحلوة صفة حسنة في الإنسان ، ودليلاً من أدلة انشراحه وسعادته وبِشْره في وجه غيره ، وسبباً لإسعاده ، وربما غلبت على المرء حتى دخلت عليه في صلاته ، فإننا هنا سنحاول بإذن الله أن نستقصي الوقائع التي وردت فيها ابتسامات نبوية في الصلاة ، أو الحوادث التي نتجت عنها أحكام ذات علاقة بها .

ـ الابتسامة غير القهقهة :

وللتفريق ابتداء بين الابتسامة المسامَح فيها والمعفو عنها في الصلاة ، وبين القهقهة أو الضحك الفاحش الذي يبطل الصلاة أو يميت القلب ، ننقل عن (الموسوعة الفقهية) ما يلي :

الضحك إما أن يكون تبسماً أو قهقهة .

والأصل فيه أنه إن كان تبسماً جاز باتفاق العلماء ، بل كان من فعله صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد عند الترمذي من حديث عبدالله بن الحارث رضي الله عنه أنه قال : «ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسماً» . وقال صلى الله عليه وسلم ـ كما أخرجه الترمذي ـ : «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» .

وأما ضحك القهقهة فقد كرهه الفقهاء ونهوا عن كثرته ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : «لا تكثروا الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب» «رواه ابن ماجه» . وقال ثابت البناني : ضحك المؤمن من غفلته ـ يعني عن أمر الآخرة ـ ولولا غفلته ما ضحك .

وقد عرّفت الموسوعة (التبسم) : بأنه ما عرى عن الصوت ، وهو مبادئ الضحك ، وتبدو فيه الأسنان فقط ، وأما القهقهة فأشارت في تعريفها إلى قول الجرجاني عنها : ما يكون مسموعاً

للضاحك ولجيرانه .

ـ من أحاديث التبسم في الصلاة :

ولقد وردت طائفة من الأحاديث النبوية تتعلق بالتبسم في الصلاة منها ما يلي :

١ـ قال الزيلعي في (نصب الراية) : ومما استدل به على أن التبسم غير مبطل للصلاة حديث أخرجه الطبراني وأبويعلى والدارقطني عن جابر رضي الله عنه

«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بأصحابه العصر فتبسم في الصلاة ، فلما انصرف قيل له :

يا رسول الله تبسمت وأنت تصلي؟

فقال : إنه مر ميكائيل وعلى جناحه غبار ، فضحك إليّ فتبسمت إليه وهو راجع من طلب القوم» .

وفي رواية : «بينما كنا نصلي مع رسول الله في غزوة بدر إذ تبسم في صلاته فلما قضى الصلاة قلنا :

يا رسول الله ، رأيناك تبسمت؟

قال : مر بي ميكائيل وعلى جناحه أثر غبار وهو راجع من طلب القوم فضحك إلي فتبسمت إليه» .

٢ـ روى الطبراني والدارقطني عن أبي موسى وأنس رضي الله

عنهما : «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ دخل رجل ضرير فتردى في حفرة كانت في المسجد فضحك كثير من القوم وهم في الصلاة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضحك أن يعيد الوضوء ويعيد الصلاة» .

وفي رواية علقها البخاري عن جابر رضي الله عنه : «من ضحك في الصلاة أعاد الصلاة ، ولم يعد الوضوء» قال جابر : إنما قال لهم ذلك حين ضحكوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ـ روى ابن عدي في (الكامل) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من ضحك في الصلاة قهقهة فليعد الوضوء والصلاة» .

٤ـ وروى أبوالقاسم حمزة بن يوسف الجرجاني في (تاريخ جرجان) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قهقه في الصلاة قهقهة شديدة فعليه الوضوء والصلاة» .

٥ـ أخرج الطبراني في (المعجم الصغير) عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يقطع الصلاة الكَشَر ، ولكن يقطعها القهقهة» ، وفي رواية ابن حبان في كتاب (الضعفاء) عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إذا

ضحك الرجل في صلاته فعليه الوضوء والصلاة ، وإذا تبسم فلا شيء عليه» .

٦ـ قال ابن نجيم في (البحر الرائق) : «تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة حين أتاه جبريل عليه السلام وأخبره : أن من صلى عليك صلى الله عليه بها عشراً» رواه أحمد وابن أبي شيبة .

٧ـ أورد الكاساني في (البدائع) عن جرير بن عبدالله البجلي أنه قال : «ما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسم ، ولو في الصلاة» .

ـ أحكام فقهية للتبسم في الصلاة :

وبعد هذه الطائفة الواسعة من أحاديث التبسم وأحاديث الضحك في الصلاة على اختلاف مراتبها وألفاظها نستخلص النتائج التالية :

١ـ إن الابتسامة اللطيفة وطلاقة الوجه لم تكن بعيدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وهو في الصلاة ، بل ربما ظهرت على محيّاه الشريف فيها .

٢ـ أما الضحك العالي والقهقهة الفاحشة فهي التي تخدش جلال الصلاة ، وتنتهك حرمة الخشوع فيها ، وتفضي بالمصلي إلى ما

يشبه الاستهزاء أو الاستهانة بأعظم فريضة وآكد شعيرة .

جاء في (الموسوعة الفقهية) : الضحك بصوت يفسد الصلاة عند جمهور الفقهاء إن ظهر حرفان فأكثر ، أو حرف مُفْهِم من المصلي ، فالبطلان فيها من جهة الكلام المشتملة عليه ، والكلام في الصلاة مبطل لها ، والمقابل للأصح عند الشافعية أنها لا تبطل بذلك مطلقاً ، لكونه لا يسمى في اللغة كلاماً ولا يتبيّن منه حرف محقق ، فكان شبيهاً بالصوت الغفل .

أما الضحك بغير صوت ـ وهو التبسم ، وهو موضوع كلامنا هنا ـ فلا تفسد الصلاة به عند جمهور الفقهاء لأنه لم يَحْدث فيها كلام ، ولما روى جابر رضي الله عنه قال : «بينما كنا نصلي مع رسول الله في غزوة بدر إذ تبسم في صلاته ، فلما قضى الصلاة قلنا : يا رسول الله ، رأيناك تبسمت؟ قال : مر بي ميكائيل وعلى جناحه أثر غبار وهو راجع من طلب القوم ، فضحك إلي فتبسمت إليه» .

وقد قسّم الأفقهسي من المالكية الضحك في الصلاة إلى وجهين : بغير صوت وهو التبسم ، وبصوت ، وهو المراد بقول أبي زيد القيرواني في رسالته : ومن ضحك في الصلاة أعادها ولم يعد الوضوء . وقال أصبغ كذلك : لا شيء عليه في التبسم إلا الفاحش منه شبيه بالضحك ، فأحب إلى أن يعيد في عمده ،

ويسجد في سهوه .

ومثل هذا نقل عن الإمام مالك بن أنس الأصبحي . فقد روي عنه في المدونة : لا شيء على المصلي إن تبسم . قال ابن القاسم : ساهياً كان أو عامداً . . . ولكن خالف في تعمد التبسم بعض المالكية فقال الشيخ عليش في (منح الجليل شرح مختصر خليل) : ولا سجود لتبسم قليل ، أي انبساط وجه واتساعه مع ظهور السرور بلا صوت ، وكره تعمده .

ومن علماء الحنابلة نورد قول البهوتي صاحب كشاف القناع عن متن الإقناع : ولا تبطل الصلاة إن تبسم فيها ، وهو قول الأكثر . حكاه ابن المنذر .

ونص ابن نجيم الحنفي في (البحر الرائق) على أن التبسم في الصلاة غير مكروه ، قال : ظاهر كلامهم أن التبسم في الصلاة غير مكروه .

ـ لماذا تبطل الصلاة بالضحك الفاحش؟

والحكمة في إبطال الصلاة بالضحك الفاحش هو ما ذكره السرخسي في كتابه (المبسوط) قال : والضحك في غير الصلاة ليس في معنى الضحك في الصلاة ، لأن حال الصلاة حال مناجاة مع الله تعالى ، فتعظم الجناية منه بالضحك في حال المناجاة .

أضحك... كما ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحديث المسلسل :

هذا نوع من أنواع الحديث النبوي يتعلق بحكاية الرواة بعضهم عن بعض للفعل الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم أو الحال الذي كان عليه ، حكاية عملية ، لا الاكتفاء بذكر اسم الفعل أو وصف الحال ، بل يقوم راوي الحديث بفعل ما يرويه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، كأن يروي في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرك لسانه وشفتيه بالقرآن يريد أن يحفظه ، فنزل قوله تعالى : ﴿**لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾[1] . يقول ابن عباس لراوي الحديث عنه : فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما ، وقال سعيد الراوي عن ابن عباس : وأنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه . ويقول العيني : ومثل هذا الحديث يسمى بالمسلسل بتحريك الشفة .

قال ابن جماعة في (المنهل الروي) : الحديث المسلسل ما تتابع رجال إسناده ثم روايته على صفة أو حالة ، إما في الراوي أو

(١) سورة القيامة / ١٦-١٩ .

في الرواية . وصفة الراوي إما قولُ أو فعلُ ذلك كمسلسل القسم بالله العظيم ومسلسل التشبيك باليد ، ومن فوائده زيادة الضبط .

أولاً : المسلسل بالضحك في الوضوء

والذي يهمنا هنا أن ننقل بعض ابتسامات النبي صلى الله عليه وسلم التي تبسم فيها رواتها كتبسمه صلى الله عليه وسلم حين وقعت منه ، لعلنا أن نتعلم الابتسامة عملياً من ابتساماته صلى الله عليه وسلم ، وابتسامات رواة حديثه . وإن لم تتوفر في هذه الأحاديث كافة شروط الحديث المسلسل حيث لم ترد الابتسامة عن جميع الرواة بل عن بعضهم فقط .

روى الإمام أحمد رحمه الله عن حمران بن أبان قال : «كنا عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فدعا بماء فتوضأ ، فلما فرغ من وضوئه تبسم ، فقال :

هل تدرون مما ضحكت؟ قال : فقال :

توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما توضأت ثم تبسم .

ثم قال : هل تدرون مِمَّ ضحكت؟

قال : قلنا الله ورسوله أعلم .

قال : إن العبد إذا توضأ فأتم وضوءه ، ثم دخل في صلاته ، فأتم صلاته ، خرج من صلاته كما خرج من بطن أمه من الذنوب»

ثانياً : المسلسل بالضحك في رجل يوم القيامة

والحديث الثاني المسلسل بالضحك هو حديث عَجَب من أحاديث القيامة .

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فينكب مرة ، ويمشي مرة ، وتسفعه النار مرة ، فإذا جاوز الصراط التفت إليها فقال :

ـ تبارك الذي نجاني منك . لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً من الأولين والآخرين . قال : فترفع له شجرة فينظر إليها فيقول :

ـ يا رب أدنني من هذه الشجرة فأستظل بظلها وأشرب من مائها .

فيقول : أي عبدي فلعلي إن أدنيتك منها سألتني غيرها .

فيقول : لا يا رب ، ويعاهد الله أنه لا يسأله غيرها ، والرب عز وجل يعلم أنه سيسأله ، لأنه يرى ما لا صبر له يعني عليه ، فيدنيه منها .

ثم ترفع له شجرة وهي أحسن منها ، فيقول :

ـ يا رب أدنني من هذه الشجرة فأستظل بظلها وأشرب من مائها .

فيقول : أي عبدي ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟

فيقول : يا رب هذه لا أسألك غيرها ويعاهده . والرب يعلم أنه سيسأله غيرها فيدنيه منها .

فترفع له شجرة ثَمَّ بابِ الجنة هي أحسن منها .

فيقول : يا رب أدنني من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها .

فيقول : أي عبدي ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟

فيقول : يا رب هذه الشجرة لا أسألك غيرها ويعاهده . والرب يعلم أنه سيسأله غيرها ، لأنه يرى ما لا صبر له عليها ، فيدنيه منها ، فيسمع أصوات أهل الجنة .

فيقول : يا رب الجنة الجنة .

فيقول : عبدي ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟

فيقول : يا رب أدخلني الجنة .

فيقول عز وجل : ما يُصْرِيني منك ، أي عبدي أيرضيك أن أعطيك من الجنة الدنيا ومثلها معها؟

فيقول : أتهزأ بي أي رب وأنت رب العزة؟

قال : فضحك عبدالله بن مسعود حتى بدت نواجذه ، ثم قال :

ـ ألا تسألوني لِمَ ضحكت؟

قالوا له : لِمَ ضحكت؟

قال : لضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تسألوني لِمَ ضحكت؟

قالوا : لِمَ ضحكت يا رسول الله؟

قال : لضحك الرب حين قال : أتهزأ بي وأنت رب العزة»

زاد في رواية في مسند أبي عوانة : «فيقول الرب : إني لا أستهزئ بك ، ولكني على ما أشاء قدير» .

ثالثاً- تسلسل التبسم عند ركوب الدابة :

والحديث الثالث الذي يُروى مع ضحك الراوي تتبعاً ومماثلة واقتداء بتبسمه صلى الله عليه وسلم فرحاً بالمغفرة والعفو الإلهي ، ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي في (سننه الكبرى) عن علي ابن ربيعة قال : «رأيت علياً رضي الله عنه أُتي بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال :

ـ بسم الله ، فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، ثم حمد الله تعالى ثلاثاً ، وكبّر ثلاثاً ثم قال :

سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ، ثم ضحك .

فقلت : مِمَّ ضحكت يا أمير المؤمنين؟ فقال رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت ، ثم ضحك .

فقلت : مِمَّ ضحكت يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وسلم : يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال : رب اغفر لي ، ويقول :

علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري»

وهذا الحديث ـ يرويه عبد بن حميد في مسنده ـ عن علي بن ربيعة قال : «كنت ردف علي ، فلما وضع رجله في الركاب قال : بسم الله ، فلما استوى على السرج قال : الحمد لله . إلى أن قال : ثم استضحك ، فقلت : مِمَّ ضحكت؟ قال : كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فلما وضع رجله في الركاب ذكر الذي

ذكرتُه فضحك ، فقلت : مِمَّ ضحكت يا رسول الله؟ قال : عجبت فذكره . . .»

ـ نور الدين لا يضحك إلا بعد جلاء الصليبيين

ونقل الذهبي في (سير أعلام النبلاء) عن سبط بن الجوزي قال : حكى لي تاج الدين قال : ما تبسم نور الدين إلا نادراً (وكان ذلك من شدة غمه وحزنه على استلاب القدس من أيدي المسلمين) ، حكى لي جماعة من المحدثين أنهم قرؤوا عليه حديث التبسم ، فقالوا له : تبسّم (أي كما تبسم رواة هذا الحديث قبلك) قال : لا أتبسم من غير عجب .

- يضحك الرواة كما ضحك شيوخهم :

ومن هذا القبيل ما أورده الخطيب البغداد في الكفاية في علم الرواية قال :

أخبرنا : القاضي أبو العلاء ، محمد بن علي ، الواسطي ، أنا عبدالله بن موسى السلامي فيما أذن لنا أن نرويه عنه قال :

سمعت عمار بن علي اللوري يقول : سمعت أحمد بن النضر الهلالي قال : سمعت أبي يقول : كنت في مجلس سفيان ابن عيينة ، فنظر إلى صبي دخل المسجد ، فكأن أهل المجلس تهاونوا

به لصغر سنه فقال سفيان : ﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ النساء/ ٩٤ . ثم قال :

- يا نضر لو رأيتني ولي عشر سنين ، طولي خمسة أشبار ووجهي كالدينار ، وأنا كشعلة نار ، ثيابي صغار ، وأكمامي قصار ، وذيلي بمقدار ، ونعلي كآذان الفأر ، أختلف إلى علماء الأمصار ، مثل الزهري ، وعمرو بن دينار ، أجلس بينهم كالمسمار ، محبرتي كالجوزة ، ومقلمتي كالموزة ، وقلمي كاللوزة ، فإذا دخلت المجلس قالوا : أوسعوا للشيخ الصغير .

قال : ثم تبسم ابن عيينة وضحك .

قال أحمد : وتبسم أبي وضحك .

قال عمار : وتبسم أحمد وضحك .

قال أبو الحسن السلامي : وتبسم عمار وضحك .

وتبسم أبو العلاء وضحك .

وتبسم أبوبكر الحافظ وضحك .

وتبسم شيخنا أبو عبدالله وضحك .

قال سيدنا ابن المقدسي : وتبسم شيخنا الإمام الحافظ أبو طاهر السلفي ، وضحك .

ابتسامة الغضب ... ثم ابتسامة الفرح المبشر

ـ مقدمة :

ليست الابتسامة دائماً علامة للرضا والقبول ! بل قد تستخدم الابتسامة للتعجب من الشيء واستغرابه ، أو قد تستخدم للتعبير عن الغضب والانفعال ، كما يمكن أن تكون للهزء والسخرية ، ويمكن أن تكون للتنبيه والتذكر ، أو للشماتة والتشفي .

والذي يهمنا هنا ابتسامة الغضب لا الرضا ، وكيف أنها وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم (البسام ابتسامة بِشْر وطلاقة وجه) هذه الابتسامة الغاضبة وردت في بعض الأحوال والأحيان ، فكيف كان ذلك وما هي ظروفها؟ ولماذا خص بها صاحبها دون آخرين فعلوا مثله؟ ! .

ـ ابتسامة المغضب . . . مرة واحدة

وقد وردت ابتسامة الغضب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة ، وذلك في قصة طويلة سنسردها بكمالها لتمام الفائدة .

وكانت هذه المرة كما اتفق على ذلك أصحاب السيرة والحديث في ختام غزوة تبوك ، لما عاد رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأقبل نحوه المتخلفون عنه من المنافقين ، الذين رغبوا بأنفسهم عن رسول الله ، يعتذرون إليه كذباً وزوراً ، ويقدمون بين أيديهم الأعذار الواهية والحجج الباطلة ليقبل عذرهم ، ويصفح عنهم ، فكان عليه السلام يجاملهم ويسكت عنهم ، بل وربما استغفر لهم ، حتى جاء النفر الصالحون من خيرة أصحابه الذين تخلفوا مع من تخلف ، لكن دون أن يدخل النفاق والشك في قلوبهم ، بل غلبتهم أنفسهم في لحظة ضعف ، ثم أدركوا خطأهم ، فجاءوا يعترفون لا يعتذرون ، ويندمون لا يبررون .

وكان على رأس هؤلاء الصالحين من الصحابة كعب بن مالك رضي الله عنه ، الذي نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم وتبسم تبسم المغضب ، ثم كان من شأنه ما سنرى ! !

ـ غزوة تبوك . . . مقدمات وشواهد :

روى البخاري في (صحيحه) عن كعب بن مالك قال :

- «لم أتخلف عن رسول الله في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد .

ولقد شهدت مع رسول الله ليلة العقبة حين تواثقنا على

الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها . . .

ويتابع كعب : كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتُهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة . غزاها رسول الله في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدداً كثيراً . فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد .

والمسلمون مع رسول الله كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ ، يريد الديوان .

قال كعب : فما من رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغزوة حين طابت الثمار والظلال .

ـ موكب المجاهدين يتحرك صوب تبوك :

- وتجهز رسول الله والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقضِ شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول

الله والمسلمون معه ولم أقضِ من جهازي شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا (خرجوا من المدينة) لأتجهز فرجعت ولم أقضِ شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقضِ شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا .

وتفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم يقدر لي ذلك .

فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطفت فيهم ، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء .

ـ ما فعل كعب ؟!

ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك :

ـ ما فعل كعب؟

فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه برداه ، ونظره في عطفيه !

فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال كعب بن مالك : فلما بلغنا أنه توجه قافلاً حضرني همي ، وطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً ، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي .

فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أظل قادماً زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه .

ـ إذا رجع بدأ بالمسجد فصلى ثم جلس للناس

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك جاءه المنافقون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فكان يقبل منهم رسول الله علانيتهم ، وبايعهم ، واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله .

ـ تبسم المغضب . . . أما هذا فقد صدق

فجئته ، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ، ثم قال : تعالَ . فجئت أمشي حتى جلست بين يديه .

فقال لي : ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟

فقلت : بلى ، إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله . لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- أما هذا فقد صدق . فقم حتى يقضي الله فيك . فقمت .

ـ يعنفه قومه ويكادون يثنونه عن الصدق :

وثار رجال من بني سلمة ، فاتبعوني فقالوا لي :

- والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المتخلفون؟ قد كان كافيك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك؟ فوالله ما زالوا بي يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي .

ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد؟

قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك .

فقلت : من هما؟

قالوا :مرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الواقفي . فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة . فمضيت حين ذكروهما لي .

ـ لا يكلمهم أحد . . .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان . وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ، ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

ـ هل تَعْلَمني أُحب الله ورسوله؟

حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي ، فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام .

فقلت : يا أبا قتادة : أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟

فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته .

فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي وتدليت حتى تسورت الجدار .

ـ تحريض على التمرد والردة :

قال : فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول :

ـ من يدل على كعب بن مالك؟

فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان فإذا فيه :

ـ أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأته :

وهذا أيضاً من البلاء . فتيممت بها التنور فسجرته بها .

ـ ابتعد عن زوجتك ، فلا تقربها

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا رسول رسول الله يأتيني .

فقال : إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك .

فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل؟

قال : لا بل اعتزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك .

فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فتكوني عندهم ، حتى يقضي الله في هذا الأمر .

قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

- يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه؟

قال : لا ولكن لا يقربك .

قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا .

يقول كعب : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ، وما يدريني ما يقول رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا .

ـ الفرج مع صلاة الصبح

فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة ، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله : قد ضاقت عليّ نفسي ، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على سَلْع بأعلى صوته :

ـ يا كعب أبشر .

قال : فخررت ساجداً وعرفت أنه قد جاء فرج .

وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قِبَل صاحبي مبشرون ، وركّض إليَّ رجل فرساً ، وسعى ساع من أَسلم فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاء الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما .

ـ أبشر بخير يوم . . . وابتسامات ووجه منّور

وانطلقت إلى رسول الله ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة يقولون : لتهنك توبة الله عليك . قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلي طلحة بن عبدالله يهرول حتى صافحني وهنأني . والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور :

ـ أبشر بخير يوم مر منذ ولدتك أمك .

قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟

قال : بل من عند الله .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

ـ مالي صدقة . . . توبة إلى الله

فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله .

قال رسول الله : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك .

قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر .

فقلت : يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدّث إلا صدقاً ما لقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما أبلاني ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني فيما بقيت .

ـ الوحي من السماء بالبشارة

وأنزل الله على رسوله ﴿**لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[1] .

(١) سورة التوبة/ ١١٧-١١٨ .

ضحكات... للنبي صلى الله عليه وسلم منها موقف!!

ـ هل كل الضحك مستحسن؟

ليس كل الضحك محموداً ، وليس كل الضحك بمعنى واحد ، واستعمال الناس للضحك على وجوه شتى ـ منها الحسن الجيد ، ومنها القبيح السيئ ، ومنها المؤدي إلى معنى واضح ، ومنها خفي القصد ـ كل ذلك اعتاده الناس واستخدموه ، وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن تمر بين يديه كل تلك الأنواع من الضحك دون توجيه وبيان .

لقد نقلت لنا صور كثيرة من ضحكات وقعت في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنكر بعضها وردّ عليه ، ورضي بعضها وقبله ، وسكت عن بعضها وتغاضى .

وهانحن أولاء ننقل هنا بعض تلك الضحكات بألوانها المتعددة ، كما ننقل التوجيه النبوي الكريم بخصوص كل منها .

ـ كانوا من الذين آمنوا يضحكون :

وأسوأ تلك الضحكات على الإطلاق ،هي تلك التي استخدمت للسخرية والاستهزاء من النبي صلى الله عليه وسلم بصورة مزرية وماكرة !! .

ألم يقل الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ، عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ، هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1] .

ـ اللهم عليك بقريش :

روى البخاري في (صحيحه) عن عبدالله بن مسعود قال : «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي في الكعبة وجمع قريش في مجالسهم ، إذ قال قائل منهم ـ وهو أبوجهل ـ : ألا تنظرون إلى هذا المرائي ، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان ، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ، ثم يمهله إذا سجد حتى يضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم ، (وجاء في بعض الروايات أنه عقبة ابن أبي معيط) فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه . وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجداً ، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك . فانطلق منطلق إلى فاطمة رضي الله عنها ، وهي جويرية ، (وجاء عند

(١) سورة المطففين/ ٢٩ - ٣٥ .

مسلم بأن ابن مسعود رضي الله عنه ـ راوي الحديث ـ قال : وأنا قائم أنظر لو كانت لي مَنَعَةٌ طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم) . فأقبلتْ وهي تسعى ، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً حتى ألقته عنه وأقبلت تسبهم ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال :

ـ اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، ثم سمّى : اللهم عليك بعمرو بن هشام «يقصد أباجهل» وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمارة بن الوليد .

قال صاحب (السيرة الحلبية) : رفع يديه ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً . . . فلما سمعوا صوته ذهب منهم الضحك وهابوا دعوته» .

ـ أتضحكون من دقة ساقيه !

ومن الضحكات التي اعترض عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرتح لها ضَحكُ بعض أصحابه رضي الله عنهم على وجه التندر واللعب برجلَ من أفاضل الصحابة ومقدميهم ، كان قصير القامة صغير الحجم ، هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، وكان من أكثر الناس ملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وأشدهم اتباعاً له وأصدقهم تديناً .

روى الضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة) عن أم موسى قال : سمعت علياً يقول : «أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود أن يصعد شجرة (وفي رواية : أنها شجرة نخل) فيأتيه منها بشيء (يجتني لهم من ثمرها أو يقطع منها سواكاً) فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه فضحكوا منها (وفي المستدرك على الصحيحين : فهبت الريح وكشفت عن ساقيه فضحكوا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ ما تضحكون؟ لَرِجْلُ عبدالله يوم القيامة أثقل من أحد»

ـ لا يحل لمسلم أن يُرَوِّع مسلماً

ومن الضحكات التي أنكرها النبي صلى الله عليه وسلم ما فعله بعضهم بأعرابي غريب على وجه اللعب والعبث والاستهانة .

روى أحمد في (مسنده) عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير ، فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها ، فلما استيقظ الرجل فزع ، فضحك القوم .

فقال : ما يضحككم؟

فقالوا : لا ، إلا أنا أخذنا نبل هذا ففزع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»

ـ سؤال بريء . . . جاهل يسأل عالماً :

وروى الطبراني في (الأوسط) عن جابر رضي الله عنه قال : «جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ـ يا رسول الله ، ثيابنا في الجنة ننسجها بأيدينا؟ قال : فضحك القوم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ممَّ تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً !! ، لا يا أعرابي ولكنها تشقق عنها ثمرات الجنة»

ـ من ضحك فَلْيُعِد الصلاة :

وروى الطبراني والدارقطني عن أبي موسى وأنس رضي الله عنهما : «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ دخل رجل ضرير البصر ـ أو سيء البصر ـ فتردى في حفرة كانت في المسجد ، فضحك كثير من القوم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضحك أن يعيد الوضوء ويعيد الصلاة» .

وعند الدارقطني عن أبي العالية قال : «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس صلاة الفجر وبعض صلاة الليل ، وكان في المسجد بئر ، وكان رجل في بصره ضُرٌّ ، فوقع فيها ، فضحك الناس ، فلما قضى الصلاة قال : مما ضحكتم؟ فأخبروه فقال : من ضحك فليعد الوضوء والصلاة» .

ـ إنما بُعثت ميسّراً . . .

وروى الهيثمي في (مجمع الزوائد) عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ، فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون «وفي رواية وقد عرض لهم ما يضحكهم» .

فقال : أتضحكون ووراءكم جهنم ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولما أسغتم الطعام والشراب ، ولخرجتم إلى الصَّعَدات تجأرون إلى الله عز وجل .

فنودي : يا محمد لا تقنط عبادي ، إنما بعثتك ميسراً ولم أبعثك معسراً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سددوا وقاربوا» .

وذكر الطبراني في (الأوسط) عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أهل الصفة وقد

علت أصواتهم واستغربوا ضحكاً ، فأغضبه ذلك .

فقال : ما للضحك خلقتم . وأنكر ذلك عليهم .

فأتاه جبريل عليه السلام عن الله جل ذكره فقال : إن الله يأمرك أن تيسر ولا تعسر ، وتبشر ولا تنفر .

فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرهم ، وبشر عليهم ، وبسط منهم»

وأورد القرطبي عن الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك .

فقال : ما لكم تضحكون؟ لا أراكم تضحكون؟

ثم أدبر حتى إذا كان بالحجر رجع القهقرى فقال لنا : إني لما خرجت جاءني جبريل فقال : يا محمد لم تقنط عبادي من رحمتي ، **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾**[1] .

ـ إن يكن صادقاً يدخل الجنة

ومن الضحكات التي وجه النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الحجر / ٤٩ - ٥٠ .

أصحابه فيها إلى غير ما يضحكهم ، وصرفهم عن فهمهم الخاطئ للأمور ، ما رواه عبدالرزاق في (مصنفه) عن عبيد بن عمير قال :

«جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كم الصلوات؟ قال : خمس . فسمّاهن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ورمضان . قال السائل : لا أزيد عليهن أبداً ثم ولى . فضحكوا منه .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن يكن صادقاً يدخل الجنة» .

ـ إن عليك قميصاً! . .

ومن غرائب الضحكات التي حدثت في مجلسه صلى الله عليه وسلم . ما رواه الطبراني في (المعجم الكبير) عن أسيد بن حضير «أن رجلاً كان يضحك عند النبي صلى الله عليه وسلم «وفي رواية كان يضحك القوم» إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصبعه في خاصرته «أي طعنه بها ليزجره» .

قال : قتلتني يا رسول الله .

قال : اقتص .

قال : إن عليك قميصاً ولم يكن علي قميص ! .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه حتى بدا كشحه ، فاحتضنه وجعل يقبل كشحه ويقول :

ـ بأبي وأمي هذا أردتُ» .

ـ يخبرهم بما كان منهم فيضحكون :

وهناك ضحكة من وفد وَفَد على النبي صلى الله عليه وسلم سأل عنها النبي صلى الله عليه وسلم متعجباً لها ، فتبيّن أن هؤلاء النفر الوفد ، إنما ضحكوا لما أخبرهم به صلى الله عليه وسلم من خفي حالهم ، فكان ضحكهم تعجباً من انكشاف أمرهم ، لا لأمر آخر .

روى أبويعلى والطبراني في (الكبير) عن أشعث بن عمير العبدي عن أبيه قال : «أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم وفدُ عبدالقيس ، فلما أرادوا الانصراف قالوا :

ـ قد حفظتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء سمعتموه ، فسلوه عن النبيذ .

فأتوه فقالوا : يا رسول الله إنا بأرض وخمة لا يصلحنا فيها إلا الشراب .

فقال : وما شرابكم؟

قالوا : النبيذ .

قال : وفي أي شيء تشربونه؟

قالوا : في النقير .

فقال : لا تشربوا في النقير .

فقالوا : والله لا يصالحنا قومنا على هذا .

فراجعوه فسألوه ، فقال لهم مثل ذلك ، ثم عادوا .

فقال : لا تشربوا في النقير فيُضْربَ الرجل منكم ضربة لا يزال منها أعرج إلى يوم القيامة . فضحكوا .

فقال : من أي شيء تضحكون؟

قالوا : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد شربنا في نقير لنا ، فقام بعضنا إلى بعض ، فضُرب هذا ضربةً عَرِج منها إلى يوم القيامة ! ! .»

نافق حنظلة . . .

وهناك موقف لأحد الصحابة الكرام الزهاد ظن أن ما وقع منه من ضحك أبعده عن الإيمان وقرّبه من النفاق ، فجاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

ذكر ابن ماجه وأحمد في (المسند) عن حنظلة الكاتب التميمي الأسيدي قال : «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكّرنا الجنة والنار حتى كأنه رأي العين ، فقمت إلى أهلي وولدي فضحكت ، ولعبت مع أهلي وولدي ، فذكرت ما كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت فلقيت أبابكر .

فقلت : يا أبابكر نافق حنظلة .

قال : وما ذاك؟

قلت : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكّرنا الجنة والنار حتى كأنا رأي العين ، فذهبت إلى أهلي فضحكت ولعبت مع ولدي وأهلي .

فقال : إنا لنفعل ذاك .

قال : فذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له .

فقال : يا حنظلة لو كنتم في بيوتكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة وأنتم على فرشكم وبالطرق ، يا حنظلة ساعة وساعة» .

ـ هذا دعائي لأمتي في كل صلاة

وثمة ضحكة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فرحت فيها فرحاً شديدا ، وظنت أنها انفردت بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم دون سائر الناس . . . لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه فهمها

روى ابن حبان في (صحيحه) عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «لما رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم طيب نفس ، قلت : يا رسول الله ، ادع الله لي .

فقال : اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ، ما أسرّت وما أعلنت . فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيسرك دعائي؟

فقالت : وما لي لا يسرني دعاؤك؟

فقال صلى الله عليه وسلم : والله إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة» .

ـ تضحك . . . والسيف ينتظرها! . .

وفي (المستدرك على الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها

أنها قالت : «ما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط من بني قريظة إلا امرأة واحدة ، والله إنها لعندي تضحك ظهراً لبطن ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل رجالهم بالسيوف ، إذ يقول هاتف باسمها :

ـ أين فلانة؟

فقالت : أنا والله .

قلت : فويلك مالك؟

فقالت : أقتل والله .

قلت : ولِمَ؟

قالت : لحدث أحدثتُه .

فانْطُلق بها فضُرب عنقها ، فما أنسى عجباً منها : طيبة نفسها وكثرة ضحكها» .

وكانت هذه المرأة قد أعانت بنفسها في محاولة إلقاء الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أراد اليهود قتله .

الابتسامة الأخيرة... قبل الرحيل إلى الآخرة

ـ آخر ما رآه المسلمون صبيحة وفاته ﷺ

من يصدق أن آخر رؤية عامة للمسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت متوجة بابتسامة خاصة من ابتساماته الكثيرة التي ملأت حياته وحياة من معه . . . إنها الابتسامة الأخيرة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم البسّام المبتسم ، الذي كان أكثر الناس تبسماً .

ـ كأن وجهه ورقة مصحف

جاء في (صحيح البخاري) عن الزهري قال : أخبرني أنس ابن مالك الأنصاري ، وكان تبع النبي صلى الله عليه وسلم وخدمه وصحبه «أن أبابكر رضي الله عنه كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه ، حتى إذا كان يوم الإثنين ، وهم صفوف في الصلاة ، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم ، كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم يضحك ، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم ، فنكص أبوبكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا النبي أن أتموا صلاتكم ، وأرخى الستر فتوفي من يومه» .

وجاء في رواية مسلم عن أنس قوله في سياق الحديث : «فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكاً ، قال فبهتنا ونحن في الصلاة من فرحٍ بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكص أبوبكر على عقبيه ليصل الصف . . . إلى آخر الحديث» .

وجاء في كتاب (الثقات) لابن حبان «أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر يوم الإثنين ، وأبوبكر يصلي لهم ، لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة رضي الله عنها ، فنظر إليهم وهم صفوف في صلاتهم ثم تبسم ، ونكص أبوبكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة ، وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اقضوا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر بينه وبينهم ، وتوفي في ذلك اليوم» .

ـ وجلس في مصلاه قليلاً :

وأورد ابن سعد في (الطبقات) أنه صلى الله عليه وسلم في ذلك الموقف ، بعد أن تبسم لأصحابه وأمرهم بإكمال صلاتهم

خلف أبي بكر الصديق ، جلس في مصلاه ، فحذر الناس الفتن ، ثم نادى بأعلى صوته حتى إن صوته ليخرج من باب المسجد .

فقال : إني والله لا يمسك الناس علي بشيء ، لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه .

ثم قال : يا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية عمة رسول الله ، اعملا لما عند الله ، فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً . ثم قام من مجلسه ذلك فما انتصف النهار حتى قَبَضَه الله»

ويلحق بذلك ما نقله أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي صاحب كتاب (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء) بعد أن خرج على أصحابه صبيحة وفاته وهم يصلون جلس قليلاً فتكلم وهم حوله ملتفون .

يقول : «أيها الناس من كان عنده شيء فليرده ، ولا يقل رجل فضوح الدنيا ! ! ألا إن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة .

فقام رجل فقال : يا رسول الله عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله .

قال : ولِمَ غللتها؟

قال : كنت محتاجاً إليها .

قال : خذها منه يا فضل . ثم قال : من خشي من نفسه شيئاً فليقم أدع له .

فقام رجل فقال : يا رسول الله إني لكذوب وإني لفاحش وإني لنؤوم .

فقال : اللهم ارزقه الصدق ، وأذهب عنه النوم إذا أراد .

ثم قام رجل فقال : والله يا رسول الله إني لكذاب وإني لمنافق وماشيء أو إنْ شيء إلا قد جئته .

فقام عمر رضي الله عنه فقال : فضحت نفسك أيها الرجل .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب ، فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً ، وصيّر أمره إلى خير . فقال عمر كلمة فضحك رسول الله ، ثم قال :

- عمر معي وأنا مع عمر ، والحق من بعدي مع عمر حيث كان»

وفي كتاب (الرياض النضرة) عن أنس قال : «لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثلاثاً ، فأقيمت الصلاة ، فذهب أبوبكر يتقدم ، فقال نبي الله بالحجاب فرفعه ، فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظراً قط أعجب إلينا من وجه

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا .

قال : فأومأ نبي الله إلى أبي بكر أن يتقدم ، وأرخى الحجاب فلم نقدر عليه (أي فلم نره) حتى مات»

ـ ماذا حدث بعد ذلك؟

وتصف لنا السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ما حدث بعد أن ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بابتسامته ثم عاد إلى حجرته . . . وكانت تلك اللحظات الأخيرة من حياته صلى الله عليه وسلم فتقول : كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه :

«إن من نعم الله علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته : دخل علي عبدالرحمن (تقصد أخاها عبدالرحمن بن أبي بكر) وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيته ينظر إلي ، وعرفت أنه يحب السواك .

فقلت : آخذه لك؟

فأشار برأسه أن نعم ، فناولته فاشتد عليه .

وقلت : ألينه لك؟

فأشار برأسه أنْ نعم ، فليّنته ، فأمرّه وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول :

ـ لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات . ثم نصب يده (رفعها) فجعل يقول : اللهم في الرفيق الأعلى . حتى قبض ومالت يده»

ـ قال ابن كثير رحمه الله :

وكانت ابتسامته هذه ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخر ابتسامة أشرق بها وجهه على أصحابه . . .

ويعلق على هذه الابتسامة المؤثرة الإمام ابن كثير في (البداية والنهاية) فيقول :

ـ ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة الإثنين ، فودعهم بنظرة كادوا يفتتنون بها ، ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به ، ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم :

وكنت أرى كالموت من بَيْنِ ساعةٍ
فكيف ببينٍ كان موعدُه الحشرُ

ـ فاطمة (رضي الله عنها) تبكي وتضحك :

وأورد ابن سعد في (الطبقات) عن عائشة رضي الله عنها

«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة ابنته في وجعه الذي توفي فيه ، فسارّها بشيء فبكت ، ثم دعاها فسارّها فضحكت . قالت عائشة : فسألتها عن ذلك .

فقالت : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه هذا فبكيت ، ثم أخبرني أني أول أهله لحاقاً به فضحكت»

ثم فصّل ذلك ابن سعد برواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها نفسها إذ تقول :

«كنت جالسة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : مرحباً بابنتي .

فأجلسها عن يمينه أوعن شماله ، ثم أسرّ إليها شيئاً فبكت ، ثم أسرّ إليها فضحكت . قالت : قلت :

ما رأيت ضحكاً أقرب من بكاء ، أَسْتَخَصَّك رسول الله بحديثه ثم تبكين؟ قلت : أيَّ شيء أسرّ إليك رسول الله؟

قالت : ما كنت لأفشي سرّه .

فلما قبض سألتها فقالت : قال : إن جبريل كان يأتيني

فيعارضني بالقرآن مرة ، وإنه أتاني العام فعارضني مرتين ، ولا أظن إلا أجلي قد حضر ، ونعم السلف أنا لك . قالت :

- وقال : أنت أول أهل بيتي لحاقاً بي . قالت : فبكيت لذلك .

ثم قال : ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو سيدة نساء العالمين؟ فضحكت»

ـ ابتسامة سابقة قبيل وفاته بأيام :

ومما يناسب إيراده في هذا المقام ما رواه العلماء في كتب الحديث أو السيرة عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن عائشة رضي الله عنها قالت : «رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنازة وأنا أجد صداعاً في رأسي . وأنا أقول :

وارأساه .

قال : بل أنا وارأساه . ثم قال :

- ما ضرك لو مت قبلي ، فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ، ثم دفنتك؟

قلت : لكأني بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك؟ ! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم

بدئ في مرضه الذي مات فيه ، وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه ، حتى استعزّ به أي اشتد في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يُمَرّض في بيتي فأذنَّ له» رواه أحمد النسائي .

فهل بعد كل هذه النصوص نستنبط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم الابتسامة ـ فيما استخدم من وسائل عديدة ـ ليخفف على أصحابه المحبين له المتعلقين بجنابه وطأة فراقه وشده فقده وألم موته . . .

بحمد الله وتوفيقه . . .

انتهيت من مراجعته المراجعة الأولى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قبالة الحجرة النبوية الشريفة ، وذلك في يوم الإثنين بعد صلاة المغرب ، الثاني من ذي الحجة عام ١٤٢٣هـ ، الموافق ٣/ ٢/ ٢٠٠٣م . وأنا في الطريق إلى حج بيت الله الحرام .

وكان الأصل من هذا الكتاب أعد لإذاعة القرآن الكريم في دولة الكويت ، وأذيع في برنامج يومي تحت اسم (ابتسامات نبوية) في شهر رمضان المعظم سنة ١٤٢٣ في ثلاثين حلقة . وأعيد ثانيةً في نفس العام لما وضع الله له من القبول في قلوب وأسماع المؤمنين .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة
بين يدي الابتسامات النبوية	٣
أما بعد	٤
ملحوظة مهمة	١٢
حول الابتسامة والتبسم	١٣
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بساماً	١٥
الملائكة والأنبياء والصالحون السابقون بسامون أيضاً	٢٣
ابتسامات الأنبياء والملائكة	٢٣
ابتسامات آدم عليه السلام	٢٤
ابتسامات أيوب عليه السلام	٢٥
ابتسامة سليمان عليه السلام	٢٦
ابتسامات للملائكة الكرام	٢٩
ابتسامة العابد جريج	٣١
تبسمك في وجه أخيك صدقة . . . من جوامع الكلم	٣٤
روايات . . . وطرق	٣٤
الابتسامة والبشاشة وطلاقة الوجه	٣٦
طلاقة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٨

الموضوع	الصفحة
التمسوا الخير عند حسان الوجوه	٤٠
وكان في زمنه وحضرته من يضحكه ويضحك الناس	٤٤
خفة الروح وحلاوة المداعبة	٤٤
أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكنه ويضحكن	٤٥
نزول المضحكات المكيات عند المضحكات المدنيات	٤٧
نعيمان أشهر المضحكين	٤٨
ولنعيمان حادثة أخرى مضحكة	٥٠
يهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يطلب الثمن	٥٣
عمر بن الخطاب يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم	٥٤
خوات بن جبير وقصص مضحك	٥٥
كانوا يضحكون في حضرته ويبتسم معهم	٥٦
ابتسامات نبوية لآل البيت الكرام	٥٧
آل البيت من أكرم الخلق	٥٧
أنت أحب إلي وهو أعز علي	٥٨
إن الله يباهي بكما حملة العرش	٥٩
لقد رضي الله حكمك فيهم	٥٩
خذ من المال ما تطيق حمله	٦٠
الطخي بها وجهها	٦٢
ابتسامة لمن صلى على رسول الله صلى عليه وسلم	٦٢

الموضوع	الصفحة
كل امرأة من نسائك كانت عند رجل غيري	٦٣
تصومان نفلاً ثم تفطران	٦٤
خرج الدجال الأعور	٦٥
للحسين السبط مضاحكة	٦٦
ابتسامات نبوية خاصة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه	٦٧
أبوبكر ورسول الله . . صحبة وأخوة	٦٧
الابتسامات المتبادلة المستمرة	٦٨
حسان يمتدح أبا بكر ورسول الله يبتسم	٦٩
ملك يدافع عن أبي بكر	٧١
لايدخل جوفه مال حرام أو مشبوه	٧٢
في أبي بكر حدة خيار الأمة	٧٣
ويوم الفتح الأكبر ابتسامة للصديق	٧٤
ابتسامة وبشارة بالجنة	٧٨
الابتسامات النبوية لعائشة الصديقة وفي بيتها	٧٩
أحب زوجاته وآثرهن عنده	٧٩
كان بساماً في بيته مع نسائه ﷺ	٧٩
لعائشة من الود ما ليس لغيرها	٨٠
لعب وصور ، وابتسامة نبوية	٨١
إنها ابنة أبي بكر . . . وابتسامة	٨٢

الموضوع	الصفحة
أكُلُّ هذا الاسترجاع من أجل هذه الشوكة	٨٤
الابتسامة الكبرى عند البراءة العظمى	٨٥
ابتسامة من أجل أسامة وزيد	٨٨
وابتسامة أخرى بعد مسابقة وجري	٨٨
أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما	٨٩
لقد دعوت الله باسمه الأعظم	٩٠
إشاعة خطيرة تدحضها ابتسامة نبوية	٩٢
هل يغزو الروم المدينة	٩٢
هل طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه	٩٣
أطلقت نساءك يا رسول الله؟	٩٨
ماذا في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم	٩٩
سبب الحادثة وأصلها	١٠٠
الشهر تسع وعشرون والشهر ثلاثون	١٠٠
ابتسامات شتى . . . في مناسبات عديده	١٠٢
ابتسامة خاصة لأبي هريرة	١٠٢
ولخاتم النبوة ابتسامات	١٠٤
ابتسامة خاصة لشابين صغيرين	١٠٩
ابتسامة لصحابي خاف مشاركة غيره في غنيمته	١٠٩
ابتسامة عند الغنى وكثرة المال	١١٠

الموضوع	الصفحة
ابتسامات نبوية لبعض الصحابيات	١١١
ما أكرم النساء إلا كريم	١١١
زوجها لا يقربها كما زعمت	١١٢
أنكرت على زوجها الصلاة دون وضوء فضربها	١١٣
لاتغسل الميت بالماء البارد فتقتله	١١٤
أم طلحة امرأة جيدة	١١٤
إن اقترب مني أحد بعجت بطنه	١١٥
ابتسامة لزينب ببشارة من السماء	١١٦
ابتسامة لخادمة بسيطة	١١٧
ابتسامات عديدة في بدر الكبرى	١١٩
بدر لقاء كبير وخطير	١١٩
الابتسامات النبوية تثبت المؤمنين	١٢٠
أشيروا علي أيها الناس	١٢٠
أذن بأذن والرأس زيادة . . وابتسامة من جبريل	١٢٢
ابتسامة في الصلاة لميكائيل المحارب	١٢٣
أولئك الملأ من قريش	١٢٤
ابتسامات نبوية وراء الخندق الرهيب	١٢٦
وبلغت القلوب الحناجر حينما نقض اليهود الميثاق	١٢٧
ابتسامات النبي (بوارق أمل)	١٢٨

الموضوع	الصفحة
الابتسامة الأولى حين حفر الخندق	١٢٨
الثانية حين رئيت أول طلعة للنخل	١٣٠
الثالثة لسعد بن أبي وقاص حينما رمى مشركا	١٣٠
وأخرى عند استطلاع أمر الأحزاب	١٣١
ابتسامة للطعام القليل يكفي عدداً كبيراً	١٣٣
ابتسامات جميلة يوم الفتح الأكبر	١٣٥
يوم الفتح يوم جميل	١٣٥
ابتسامة نبوية ساعة دخول مكة	١٣٦
ابتسامة تكشف محاولة لاغتيال رسول الله	١٣٨
ابتسامة للحارث بن هشام	١٣٩
أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئاً	١٤٠
هند بنت عتبة وابتسامة عتب	١٤٢
معجزات وابتسامات نبوية	١٤٤
الابتسامات عند كشف الكربات	١٤٤
قحط وشدة . . . واستسقاء وفرج	١٤٥
ليست مرة واحدة . . . بل مرات عديدة	١٤٨
آيات قرآنية . . . وابتسامات نبوية	١٥٤
ابتسامة مع سورة الكوثر	١٥٤
وابتسامة أخرى مع سورة الانشراح	١٥٥

الموضوع	الصفحة
وابتسامة ثالثة مع آية من سورة التوبة	١٥٧
ولآية الكرسي ابتسامة	١٥٨
ابتسامة الفرح في ختام حادثة الإفك	١٦٠
ابتسامة مع الحروف في أوائل السور	١٦١
ابتسامة في سورة الضحى	١٦٢
ابتسامة قبل زواج زينب	١٦٢
ابتسامات نبوية وعجائب مروية	١٦٥
العجائب وموقف الإنسان منها	١٦٥
الأولى : أفيكم سواد بن قارب؟	١٦٥
الثانية : ما وضع أحد قط جنبي قبلك	١٦٩
الثالثة : يا رب اغفر لأمتي وارحمها	١٧١
الرابعة : هلك الضمار وفاز أهل المسجد	١٧٣
اجتهادات . . . تواجه بابتسامة نبوية	١٧٦
مع التيمم . . . ابتسامة	١٧٦
ابتسامة في قصة امرأة مطلقة	١٧٧
ابتسامة لعدي بن حاتم وخيطيه	١٨٠
أم أيمن الحاضنة تستحق ابتسامة	١٨١
وابتسامة لعبدالرحمن بن رواحة الشاعر	١٨٣
طلاق غير متوقع	١٨٤

الموضوع	الصفحة
أضحكهما . . . كما أبكيتهما	١٨٦
مأساة أسرية . . . تنتهي بابتسامة نبوية	١٨٧
الظهار عند العرب طلاق	١٨٧
أوس بن الصامت وخولة بنت ثعلبة	١٨٨
حديث الظهار ، وسبب نزول الآية	١٨٩
الله يسمع . . . والوحي يتنزل	١٩١
ليكفرْ عن يمينه ثم ليراجع زوجته	١٩٢
لو لم تنصرف إلى الليل لوقف عمر معها	١٩٤
ابتسامة في الظهار لرجل آخر	١٩٦
ابتسامات نبوية في أمور أخروية	١٩٧
اليوم الآخر . . . والإيمان بالغيب	١٩٧
الابتسامات الأخروية . . . متفاوتة الدرجات	١٩٨
عبد يجادل ربه	١٩٨
يستر عليه ذنوبه ولا يفضحه	٢٠٠
لن تجده إلا قرشياً أو أنصارياً	٢٠٠
من ملوك الجنة هذا الشهيد	٢٠١
اكتبوا عمله الذي تخلف عنه لمرضه	٢٠٢
مكث حزيناً مدة ثم تبسم	٢٠٣
إن شئتم أعلمتكم ، وإن شئتم فاسألوني	٢٠٣

الموضوع	الصفحة
هما جميعاً في درجة واحدة في الجنة	٢٠٤
استغفر لي يا رسول الله	٢٠٥
مم ضحكت يا رسول الله ؟؟	٢٠٦
أبشر . . . وبشّر أمتك	٢٠٧
قوم يساقون إلى الجنة في السلاسل	٢٠٨
كل قضاء الله للمؤمن خير	٢٠٩
أتهبنني ولا تهبن رسول الله؟	٢١٠
تبارك الله أحسن الخالقين	٢١٢
ادع الله أن يجعلني منهم	٢١٢
يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون شتى	٢١٤
أعجبني جمالك يا عم	٢١٥
إنا أعطيناك الكوثر	٢١٦
يارب خذ لي مظلمتي من أخي	٢١٧
ابتسامات نبوية في الصلاة . أحكام وآداب	٢٢٠
الصلاة أركان وآداب	٢٢٠
الابتسامة في الصلاة . . . حوادث وأحكام	٢٢٠
الابتسامة غير القهقهة	٢٢١
من أحاديث التبسم في الصلاة	٢٢٢
أحكام فقهية للتبسم في الصلاة	٢٢٤

الموضوع	الصفحة
لماذا تبطل الصلاة بالضحك الفاحش؟	٢٢٦
أضحك . . . كما ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم!!	٢٢٧
الحديث المسلسل	٢٢٧
أولاً : المسلسل بالضحك في الوضوء	٢٢٨
ثانياً : المسلسل بالضحك في رجل يوم القيامة	٢٢٩
ثالثاً : تسلسل التبسم عند ركوب الدابة	٢٣١
نور الدين لا يضحك إلا بعد جلاء الصليبيين	٢٣٣
يضحك الرواة كما ضحك شيوخهم	٢٣٣
ابتسامة الغضب ثم ابتسامة الفرح المبشِّر	٢٣٥
ابتسامة المغضب . . . مرة واحدة	٢٣٥
غزوة تبوك . . . مقدمات وشواهد	٢٣٦
موكب المجاهدين يتحرك صوب تبوك	٢٣٧
ما فعل كعب ؟!	٢٣٨
إذا رجع بدأ بالمسجد فصلى ثم جلس للناس	٢٣٩
تبسم المغضب . . . أما هذا فقد صدق	٢٣٩
يعنفه قومه ويكادون يثنونه عن الصدق	٢٤٠
لا يكلمهم أحد	٢٤١
هل تَعْلَمني أُحب الله ورسوله؟	٢٤٢
تحريض على التمرد والردة	٢٤٢

الموضوع	الصفحة
ابتعد عن زوجتك ، فلا تقربها	٢٤٣
الفرج مع صلاة الصبح	٢٤٤
أبشر بخير يوم . . . وابتسامات	٢٤٥
مالي صدقة . . . توبة إلى الله	٢٤٥
الوحي من السماء بالبشارة	٢٤٦
ضحكات . . . للنبي صلى الله عليه وسلم منها مواقف	٢٤٧
هل كل الضحك مستحسن؟	٢٤٧
كانوا من الذين آمنوا يضحكون	٢٤٧
اللهم عليك بقريش	٢٤٨
أتضحكون من دقة ساقيه !	٢٤٩
لا يحل لمسلم أن يُرَوِّع مسلماً	٢٥٠
سؤال بريء . . . جاهل يسأل عالماً	٢٥١
من ضحك فَلْيُعِد الصلاة	٢٥١
إنما بُعثت ميسّراً	٢٥٢
إن يكن صادقاً يدخل الجنة	٢٥٣
إن عليك قميصاً !	٢٥٤
يخبرهم بما كان منهم فيضحكون	٢٥٥
نافق حنظلة	٢٥٦
هذا دعائي لأمتي في كل صلاة	٢٥٨

الموضوع	الصفحة
تضحك . . . والسيف ينتظرها !	٢٥٨
الابتسامة الأخيرة قبل الرحيل إلى الآخرة	٢٦٠
آخر ما رآه المسلمون صبيحة وفاته ﷺ	٢٦٠
كأن وجهه ورقة مصحف	٢٦٠
وجلس في مصلاه قليلاً	٢٦١
ماذا حدث بعد ذلك؟	٢٦٤
قال ابن كثير رحمه الله	٢٦٥
فاطمة (رضي الله عنها) تبكي وتضحك	٢٦٥
ابتسامة سابقة قبيل وفاته بأيام	٢٦٧
بحمد الله وتوفيقه	٢٦٩

ثمرات المؤلف المطبوعة :

- مؤاقف إنسانية في السيرة النبوية
- المراهقون ظاهرة الإنحراف أسبابها وعلاجها
- نساء من حضارتنا الإسلامية
- الطريق إلى بيت الله العتيق
- تاريخ المساجد الشهيرة في العالم
- الإسلام ومشكلات الإنسان الكبرى
- نحو كلمة سواء وحوار كريم

ثمرات لم تطبع :

- عرائس المدن الإسلامية
- الجاليات والأقليات الإسلامية في العالم
- أسـرى ومواقف
- الرحلات الشهيرة في الأدب العربي
- أدب الدنيا والدين
- رجال من حضارتنا الإسلامية
- الرعاية النبوية للشؤون الدنيوية
- المجد المنيف للقدس الشـريف
- التعريف : ببعض علوم الإسلام الحنيف
- حدث في رمضان .

للمراسلة : الكويت ص.ب ١٨٠٨٤ - الفروانية

جوال : ٩٥٩١٣٣٦ - ٢٤٨٧٤٣٠هـ/ ف

البريد الإلكتروني : alsalem2004@gawab.com